

نور الباقين

في سيرته سيد المرسلين

تأليف

الشيخ محمد الحضرى بك المفسر بوزارة المعارف

و مدرس التاريخ الاسلامى بالجامعة المصرية سابقا

الطبعة الرابعة

١٣٤٤ — ١٩٢٦

مطابع المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بصرى
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
سابقا المكتبة التجارية بشارع محمد علي بصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من أوضحت لنا سبل الهداية : وأزجت عن بصائرنا غشاوة
الغواية : ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً : وداعياً إلى
الله باذنه وسراجاً منيراً . وعلى الأصحاب الذين هجروا الأوطان يبتغون
من الله الفضل والرضوان . والانصار الذين آووا ونصروا وبذلوا الأعرار
الدين ما جمعوا وما ادخروا

(أما بعد) فيقول محمد الخضري ابن المرحوم الشيخ عفيفي الباجوري
كنت أجد من نفسي منذ النشأة الأولى ارتياحاً لقراءة تواريخ السالفين
وقصص الغابرين وأجد لها لعقل الإنسان أحسن مهذب وأنصح معلم
وكنت أرى في تاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام وما لقيه من أذى قومه
حينما دعاهم إلى الحق وعظيم صبره حتى هجر أوطانه وبلاده - أعظم مرب
لأفكار المسلمين فانه يدهم على ما يجب اتباعه وما يلزم اجتنابه ليسودوا كما
سادس بقومهم، وخصوصاً ما يتعلق بالحكام من اجتذاب النفوس النافرة والتأليف
بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد الجيوش من تأليف الرجال وإحكام
المعدات حتى يتم لهم النصر على أعدائهم وما يتعلق بالعامّة من اتحاد قلوبهم
وصيورتهم يد أعلى من سواهم فكنت أجد من قراءتها رتياحاً عظيماً وكانت
نفسى كثيراً ما تأسف على ترك المسلمين لها ! فقلما أجد من يشتغل بها ولكنى
كنت أقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت
مدينة المنصورة جمعتى النوادى مع محمود بك سالم القاضى بحكمة المنصورة
المختلطة فوجدت منه علماً بدينه تقف دونه فحول الرجال وتأخر عن مسابقتها

فيه الابطال فقلما توضع مسألة دينية الا وجدته مبرزاً فيها من صحاح الجواب عنها أما علمه بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فعنده منها الخبر اليقين وكنت كثيراً أسمعه يتشوف لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت يا لله لقد وافق هذا السيد الكريم ما في نفسي ولكنى كنت أرى في عزيمة قصوراً عن تنفيذ رغبته وتتميم أمنيته فان المقام عظيم وصعوباته أعظم ولكن لم أر من الامر بداً تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصورة فانهم أكثر وامن الامانى لعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقامت معتمداً على الله راجياً منه أن يوفقني لما فيه رضاه، وواصلت السير بالسرى حتى بلغت المنى فجاء بحمد الله سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة وترجع اليه الخاصة : وقد كان موردى في تأليفه القرآن الشريف وصحيح السنة مما رواه الامامان البخارى ومسلم ولم أخرج عنهما الا فيما لا بد منه من تفهيم العبارات فكان يساعدنى الشفاء للقاضى عياض والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية للقسطلاني وإحياء علوم الدين للغزالي هذا وأسأل الله من فيض فضله أن يوفق أئمتنا وأمرأنا للآلة تداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحياء معالم دينه حتى يؤيدوا بروح من عند الله وقد آن أن نشرع فيما قصدناه . مستعينين بحول الله فنقول

﴿النسب الشريف﴾

السيد الأكرم الذى شرف الناس بوجوده هو (محمد بن عبد الله) من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية (١) القرشية (ابن عبد المطلب) من

(١) من بنى زهرة بن كلاب من قريش

زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (١) القرشية وكان عبد المطالب شيخا معظما في قريش يصدر عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في مهماتهم (ابن هاشم) من زوجه سلمى بنت عمرو النجارية (٢) الخزرجية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرة السلمية (٣) (ابن قصى) من زوجه حبي بنت حليل الخزاعية (٤) وكان إلى قصى في الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج وإطعامه المسنى بالرفادة والندوة وهي الشوري لا يتم أمر إلا في بيته واللواء لا تعقد راية لحرب إلا بيده ولما أشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار لكن : بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على أن لا يتركوا بنى عمهم عبد الدار يستأثروا بهذه المفاز وكاد يفضي الأمر إلى القتال لولا أن تدارك الأمر عتلاء النزيقين فأدخلوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة فدامتا فيهم إلى أن انتهتا للعباس بن عبد المطالب ثم لبنيه من بعده أما الحجابة فبقيت بيد بنى عبد الدار وأقرها لهم الشرع ففيهم إلى الآن وهم بنو شيبه بن عثمان بن أبي طاحنة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وأما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقا للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحا له وكذلك الندوة وقصى (بن كلاب) من زوجه فاطمة

(١) من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة من قريش

(٢) من بنى النجار من الخزرج والخزرج إحدى القبيلتين اللتين كانتا قريش بالمدينة

وهما الاوس والخزرج وهما اخوان وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاهما أنصارا

(٣) من بنى سليم بن منصور إحدى قبائل قيس عيلان بن مضر

(٤) من بنى خزاعة ابن عمر وإحدى قبائل قحطان بن إلياس بن مضر وهم الذين كانوا

يتولون البيت قبل قريش

بنت سعد وهي يمانية من أزد شنوءة (ابن مرة) من زوجه هند بنت سريبر
 من بني فهر بن مالك (بن كعب) من زوجه وحشية بنت شيبان من بني فهر
 أيضا (ابن لؤي) من زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قضاة (ابن
 غالب) من زوجه أم لؤي سلمى بنت عمرو الخزاعي (ابن فهر) من زوجه
 أم غالب ليلى بنت سعد من هذيل، وفهر هو قريش - في قول الاكثرين -
 وكانت قريش اثنتي عشرة قبيلة بنو عبد مناف وبنو عبد الدار بن قصي
 وبنو أسد بن عبد العزى ابن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو مخزوم بن يقظة
 ابن مرة وبنو تيم ابن مرة وبنو عدي بن كعب وبنو سهم بن هصيص
 ابن عمرو بن كعب وبنو عامر بن لؤي وبنو تيم بن غالب وبنو الحارث بن
 فهر وبنو محارب بن فهر والمقيمون منهم بمكة يسمون قريش البطاح والذين
 بضواحيها قريش الظواهر (ابن مالك) من زوجه جندلة بنت الحرث
 من جرهم (ابن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان
 (ابن كنانة) من زوجه برة بنت مر بن إدا (ابن خزيمة) من زوجه عوالة بنت
 سعد من قيس عيلان (ابن مدركة) من زوجه سلمي بنت أسلم من قضاة
 (ابن الياس) من زوجه خندف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة
 (ابن مضر) من زوجه الرباب بنت جندة بن معد (ابن نذار) من زوجه
 سودة بنت عاك (ابن معد) من زوجه معانة بنت جوشم من جرهم
 (ابن عدنان)

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين أما النسب
 فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الامر أنهم أجمعوا على أن نسب الرسول

صلى الله عليه وسلم ينتهى إلى إسماعيل بن إبراهيم أبى العرب المستعربة
نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وأمّهات طاهرات لم يزل عليه السلام
ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء حتى اختاره الله هادياً مهدياً من
أوسط العرب نسباً فهو من صميم قريش التى لها القدم الاولى فى الشرف وعلو
المكانة بين العرب ولا تجد فى سلسلة آبائه الا كراما ليس فيهم مستترذل
بل كلهم سادة قادة وكذلك أمّهات آبائه من أرفع قبائلهن شأناً ولا شك
أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آبائه
وأمّهاته كان شرعياً بحسب الاصول العربية ولم ينل نسبه شىء من سفاح
الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

(زواج عبد الله بآمنة وحملها)

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه اليه فزوجه آمنة
بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثمانى عشرة سنة
وهى يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وموضعا ولما دخل عليها حملت
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل بشهرين
ودفن بالمدينة عند أخواله بنى عدي بن النجار فانه كان ذهب بتجارة
الى الشام فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع ولما تمت مدة حمل آمنة وضعت
ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذى بث فى أرجائه روح الآداب
وتعم مكارم الاخلاق وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكى أن ذلك
كان صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الاول الموافق لليوم العشرين من

ابريل سنة ٥٧١ من الميلاد وهو يوافق السنة الاولى من حادثة الفيل (١) وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم وكانت قابله الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، ولما ولد أرسلت أمه لجدته تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل عند العرب ولكن أراد الله أن يحقق ما قدره وذكره في الكتب التي جاءت بها الانبياء كالطورا والانجيل فالهم جده أن يسميه بذلك انفاذا لامره وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه عبد الله وأول من أرضعه ثوية أمة عمه أبي لهب

(الرضاع)

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد وكانوا يقولون إن المربي في المدين يكون كليل الذهن فآثر العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفالاً يرضعنهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية واسم زوجها أبو كبشة وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء ودرت البركات على أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم وكل أمة في التاريخ بالأمور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل وحاصلها أن ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلأوا اليمن بدحير أغار على مكة وقصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فأكراماً للذي المنتظر وغيره على بيعة الكريم جعل الله كيد الأعداء في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل نريهم بحجارة من سجيل فجد بهم كعصف ما كول وأراح قريشاً من عناء مقاومتهم اه

(٩)

بينهم وكانت تربوعن أربع سنوات (١)

(حادثه شق الصدر)

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره واخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليلة خوفاً فردته الى أمه وحدثتها قائلة بينما هو واخوته في بهم لنا خلف بيتنا اذ أتى أخوه يعدوا فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعا فشقابطنه فهما يسوطانه (٢) فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه منتعالمونه (٣) فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بني؟ فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو؟؟ قال نعم فأقبلا بيئدراني فأضجعا فشقابطني فالتمسافيه شيئاً فأخذاه وطرحاه ولا أدري ماهو

(وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب)

ثم إن أمه أخذته منها وتوجهت به إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدي بن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيتها في الطريق فماتت بالأبواء (٤) فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورق له رقة لم تعهد له في ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شأنًا عظيمًا في المستقبل وكان يكرمه غاية الأكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفي بعد ثمانى سنوات من عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان له رحيماً وعليه ذموراً وكان أبو طالب مقلامن المال فبارك الله له في قليله وكان الرسول صلى الله عليه

(١) البيرة الحامية (٢) محر كانه بسوط (٣) شبيه بالنقع وهو التراب (٤) قرية بين مكة والمدينة وهي اقرب الى المدينة

وسلم في مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الاطفال عادة كماروت ذلك أم أين حاضنته فكان إذا أقبل وقت الاكل جاء الاولاد يختطفون وهو قانع بما يسيره الله له

(السفر إلى الشام)

ولما بلغت سنه عليه السلام اثنتي عشرة سنة أراد عمه وكفيله السفر بتجارة إلى الشام فاستعظم الرسول صلى الله عليه وسلم فرائه فرق له وأخذ معه وهذه هي الرحلة الاولى ولم يكتبوا فيها إلا قليلا وقد أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى (١) بحيرا الراهب فسألهم عما رآه في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن فقالوا إنه لم يظهر الآن وهذه العبارة كثيرا ما كان يلهج بها أهل الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (٢)

(حرب الفجار)

ولما بلغت سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفجار وهي حرب كانت بين كنانة ومعها قريش وبين قيس وسببها انه كان للنعمان ابن المنذر ملك العرب بالحيرة (٣) تجارة يرسلها كل عام إلى سوق عكاظ (٤) لتباع له وكان يرسلها في أمان رجل ذي منعة وشرف في قومه ليحيزها فيجلس يوما وعنده

(١) قرية على الحدود بين بلاد الشام و بلاد العرب (٢) سورة البقرة (٣) بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك فارس فتحها خالد بن الوليد في السنة الثانية عشرة (راجع آتمام الوفاء) (٤) سوق كانت تعقد في العرب كل عام لتمرص فيها تجارها وما قاله فصحاءها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك

البراض بن قيس الكناني وكان فاتكاً خليعاً خلعه قومه لكثرة شره وعروة
ابن عتبة الرحال فقال من يجيز لي تجارتني هذه حتى يبلنهما عكاظ؟؟ فقال البراض
أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان إنما أريد من يجزها على الناس كلهم فقال
عروة أبيت اللعن (١) أكلب خليع يجيزها لك؟ أنا أجيزها على أهل الشيخ
والقيصوم من أهل نجد (٢) وتهامة (٣) فقال البراض أو تجيزها على
كنانة يا عروة قال وعلى الناس كلهم فأسرّها في نفسه وتربص له حتى
إذا خرج بالتجارة قتله غدراً ثم أرسلوا رسولا يخبر قومه كنانة بالخبر
ويحذرهم قيساً قوم عروة وأما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همت
للتدرك ثأرها حتى أدركوا قريشا وكنانة بنخلة (٤) فاقتتلوا ولما اشتد البأس
وحيت قيس احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله ثم إن قيساً قالوا
لخصومهم إننا لا نترك دم عروة فموءدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا
إلى بلادهم يحرض بعضهم بعضاً فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكان
معها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم
حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه إخوته أبوطالب
وحمزة والعباس وابن أخيه النبي الكريم وكان على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة
العامة لمكانه في قريش شرفاً وسناً وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش
من مفاخر العرب وهي أشبه في ذلك بأمراض أوروبا لان (١) تحمية عربية ومنهاها
باعدت كل ما يستحق المذمة (٢) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها (٣) هو
ما انخفض من سواحل البلاد العربية والشرقي منها يسمى البحرين والفاصل بين
نجد وتهامة الحجاز في الغرب واليمامة في الشرق (٤) موضع بين مكة والطائف

رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوما من أشد أيام العرب هولا ولما استحل فيه من حرمان مكة التي كانت مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد فكانت لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش وتمهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أباسفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثير أمانت شبه حروب العرب تبدؤها صغيرات الأمور حتى ألف الله بين قلوبهم وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم

(حلف الفضول)

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداؤوا لحلف الفضول فتم في دار عبد الله بن جدعان التميمي أحد رؤساء قريش وكان المتحالفون بنى هاشم وبنى المطلب ابني عبد مناف وابني أسد بن عبد العزى وابني زهرة ابن كلاب وابني تيم بن مرة تحالفوا وتعاهدوا أن لا يمدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه حتى ترد إليه ظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول الله عليه السلام مع أعمامه وقال بعد أن شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حر والنعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت) وذلك لأنه عليه السلام مبعوث بمكارم الاخلاق وهذا منها وقد أقر دين الاسلام على كثير منها يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وقد دعا

بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا

(رحلته إلى الشام المرة الثانية)

ولما بلغت سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر إلى الشام المرة الثانية وذلك أن خديجة بنت خويلد الاسديّة (١) كانت سيّدة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه فلما سمعت عن السيد من الأمانة وصدق الحديث ما لم تعرفه في غيره حتى سماه قومه الأمين استأجرته ليخرج في مالها إلى الشام تاجرًا أو تعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وربحاً وربحاً عظيماً وظهر للسيد الكريم في هذه السفرة من البركات ما حبيه في قلب ميسرة غلام خديجة

(زواجه خديجة)

فلما قدما مكة ورأت خديجة ربّحها العظيم سرت من الأمين عليه السلام وأرسلت إليه تخطبه لنفسها وكانت سنّها نحو الأربعين وهي من أوسط قریش حسباً وأوسعهم مالا فقام الأمين عليه السلام مع أعمامه حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب فزوجها عمها وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضيء (٢) معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفاً ونبلاً وفضلاً وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل

وعارية مستردّة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كرميكم خديجة وقد بذل لها من الصداق (كذا) وعلى ذلك تم الامر: وقد كانت متزوجة قبله بأبى هالة توفي عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه السلام

﴿بناء البيت﴾

ولما بلغت سنه عليه السلام خمساً وثلاثين سنة جاء سليل جارف فصدم جدران الكعبة بعد توهمينها من حريق كان أصابها قبل فأرادت قریش هدمها ليرفعوها ويسقفوها فأنها كانت رضية (١) فوق القامة فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة أتريدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة قالوا بلى الاصلاح؟ قال إن الله لا يهلك المصلحين وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس إسماعيل وهناك وجدوا صحافاً نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين ثم ابتدؤا في البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر بنفي ولا بيع ربوا وجعل الأشراف من قریش يحملون الحجارة على أعناقهم وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل وكان الذي يلي البناء نجار رومي اسمه باقوم وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء ينقلون اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامه على قواعد إسماعيل فأخرجوا منها الحجر وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة على أنه من الكعبة ولما تم البناء ثمانى عشرة ذراعاً بحيث زيد فيه عن أصله تسع أذرع ورفع الباب عن الأرض بحيث لا يصعد اليه إلا بدرج أرادوا وضع

(١) بناء رضية مبنى بالصخر اهـ من احساس البلاء

الحجر الاسود موضعه فاختلف اشرافهم فيمن يضعه وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال وكان أسن رجل في قريش إذ ذاك أبو أمية بن الميزرة المخزومي عم خالد بن الوليد فقال لهم يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون بحكمه فقالوا نكل الامر لا ول داخل فكان هذا الداخل هو الامين المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمان الجميع له لما يهدون فيه من الامانة وصدق الحديث وقالوا هذا الامين رضينا هذا محمد لانهم كانوا يتحاكمون اليه إذ كان لا يدارى ولا يمارى فلما أخبروه الخبر بسط رداءه وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه فأخذوه ووضعه فيه وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثيراً ما يكون أمثالها سبباً في انتشار حروب هائلة بين العرب لولا أن يبن الله عليهم بعقل مثل أنى أمية يرشدهم إلى الخير وحكيم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بما يرضي جميعهم ولا يستغرب من قريش تنافسهم هذا لأن البيت قبلة العرب وكعبتهم التي يحجون إليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو أول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى في سورة آل عمران (إنا أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) وكان يلي أمره بعد ولد إسماعيل قبيلة جرهم فلما باغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلوهم عن البيت ووليت خزاعة حينئذ الدهر ثم أخذته منهم قريش في عهد قصي بن كلاب وبسببه آمنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهاجمهم وإذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العادين وامن الله عليهم بذلك في تنزيله فقال في سورة القصص (أولم يروا أنا جعلنا

حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)

(معيشته عليه السلام قبل البعثة)

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولديتهاء اثلاً فاسترضع في بني سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنه معه أن يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع في البادية وكذلك لما رجع إلى مكة كان يردها لأهلها على قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه ووجود الأنبياء في حال التجرد عن الدنيا ومشاءلها أسراً لا بد منه لأنهم لو وجدوا أغنياء لأهت بهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الأبدية ولذلك ترى جميع الشرائع الإلهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها وحال الأنبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وإبراهيم وكانت حالتهم في صغرهم ليست سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله على أنبيائه ليكونوا نموذجاً لمبتعبيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا والتهافت عليها وذلك سبب البلايا والحن وكذلك رعاية الغنم فإما من نبي الإراعاة كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث البخاري وهذه أيضاً من بالغ الحكم فإن الإنسان إذا استرعى الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة والطف تعظماً فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان لما هذب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الفرزي فيكون في عادل الأحوال . ولما شب غلب عليه السلام كان يتجر وكان شريكه السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضى الله عنها إلى الشام على جعل يأخذه : ولما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله ما امتن عليه به في سورة الضحى بقوله جل ذكره (ألم يجدك يتيماً وآوى ووجدك

ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) فالأيواء والالاغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة هده للكتاب والايان ودين ابراهيم عليه السلام ولم يكن يدري ذلك قبل . قال تعالى في سورة الشورى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهي به من نشاء من عبادنا)

(سيرته في قومه قبل البعثة)

كان عليه السلام أحسن قومه خلقاً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلق التي تدنس الرجال حتي كان أفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديده من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء حتي شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتي اذا رأيتهم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم فلتنم ساحراً!! لا والله ما هو بساحر : قال ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم حتي يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه : ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلاً هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله : ورد ذلك في أول صحيح البخارى وقد حفظه الله في صفه من كل أعمال الجاهلية التي جاء شرع الشريف

بضدها (١) وبغضت اليه الاوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم به عبادها وقال عليه السلام (لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم أهبشئ مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء بعدها حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لفلان كان يرعى معي لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمر عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذنى فذهت فما يقضى إلا مس الشمس ولم أقض شيئاً ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لا يأكل ما ذبح على النصب (٢) وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيوخه في قومه شيوعاً عظاماً وذلك كله من الصفات التي يحلى الله بها أنبياءه ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقى وحيه فهم معصومون من الادناس قبل النبوة وبعدها أما قبل النبوة فليتهاهوا للامر العظام الذي سيسند اليهم وأما بعدها فليكونوا قدوة لأممهم : عليهم من الله أفضل الصلوات وأتم التسليمات

(ما أكرمه الله به قبل النبوة)

أول منحة من الله ما حصل من البركات على آل حليمه الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله يناديهم مجدين فلما صار بينهم صارت غنيما تهم تؤوب من مرعاها وإن أضرعها التسليل لبنا ويزحم الله البوصيرى حيث يقول في همزته واذا سخر الاله أناساً لسعيد فأنهم سعداء

(١) الشفاء للقاضى عياض (٢) هي حجارة تنصب تنصب عليها دماء

الذبايح وتعبد

ثم أعقب ذلك ما حصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هذا بالعجيب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً لأن خرق العادات للأنبياء ليس بالأمر المستحدث ولا المستغرب ومن المكرمات الالهية تسخير النمامة له في سفره الى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشار كاله في سفره وهذا ما حبيه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له في المستقبل شأنًا ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس ايمانا به ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ما علمته من مكارم الاخلاق وما سمعته من خوارق العادات ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الاحجار والاشجار (١) فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى ببناء ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا سمع الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه وليس في ذلك كبير اشكال فقد سخر الله الجمادات للأنبياء قبله فعصا موسى التقت ما صنع سحرة فرعون بعد أن تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنى عشرة عينا لكل سبط من أسباط بني اسرائيل عين وكذلك غيره من الأنبياء سخر الله لهم ما شاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم

(تبشير التوراة به)

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل ذاك

الزمن ونوه فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله أنه سير سلهم فمما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام (١) (وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين أخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء أمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنقم منه فأما النبي الذي يجترى على بالكبرياء ويتكلم باسمي بمالم أمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل وإذا أحييت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك ان ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه) ويقول اليهود ان هذه البشارة ليوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبيا آخر غير المسيح فانهم (٢) أرسلوا اليوحنا المعمدان (يحي) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لا فقالوا أنت المسيح فقال لا فقالوا ما بالك اذا تعمد اذا كنت لست ايليا ولا المسيح ولا النبي فهذه تدل على أن التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبي لم يأت حتي زمن المسيح ثم ان التوراة تقول في صفة النبي انه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بني اسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة أن النبي الذي يفترى على الله يقتل ويشبه ذلك في القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (٣) ونينا صلى

(١) الاصحاح اثنا من سفر التثنية

(٢) الاصحاح الاول من انجيل يوحنا

(٣) عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه

الله عليه وسلم مكث بين أعدائه الالءاء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطميناً لخطره في سورة المائدة (والله يعصمك من الناس) أكان يعجز الله وهو القادر على كل شيء أن يعاقب من ينسب اليه ما لم يقله وهو الذي قال في سورة الشورى (أم يقولون افتري على الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل) ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور) وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي . من كذبه وهي الاخبار بما سيأتي وقد أخبر النبي عليه السلام عن أشياء كثيرة فحدث كما أخبر عنها ومنها ما لا ينفع معه الخدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سيفعلون بعد أن قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم فالأخبار اذاً بأن الروم سيوردون ما فقد منهم بعد بضع سنين لا يكون إلا من عند الله ولذلك استغربه جداً بعض المشركين . من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن وهذا قليل من كثير سيأتيك تفصيله ان شاء الله تعالى

وروى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمرو ابن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفة في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب (١) في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن

يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعيناً
عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً

وروي مثله عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهو الذي كان رئيس
اليهود فلم تعمه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب الاحبار وفي
بعض طرق الحديث ولا صخب في الاسواق ولا قوال للخنا أسدده لكل
جميل وأهبله كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعرف خلقه
والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي
به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة
وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين
قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت
للناس: وقد أخبر عليه السلام عن صفته في التوراة فقال وهو الصادق الامين
عبدى أحمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة وأمته الحمدون
الله على كل حال

(تبشير الانجيل)

بشر عيسى عليه السلام قومه في الانجيل بالفار قليط ومعناه قريب
من محمد أو أحمد ويصدق في القرآن قول الله تعالى في سورة الصف (واذا
قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله إليكم مصداق لما بين يدي من
التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) وقد وصف المسيح هذا
الفار قليط بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال انه يوحى العالم على خطيئته وانه يعلمهم

جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النجم (وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى) وقد ورد في انجيل برنابا الذي ظهر منذ زمن قريب وأخفته حجب (١) الجمالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة

(حركة الافكار قبل البعثة)

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار والرهبان قبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من احبار يهود كنا اهل شرك واصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لاتزال بيننا وبينهم شروفاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم فكثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبننا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنوا وكفروا وانما قال لهم اليهود نقتلكم معه قتل عاد وارم لان من صفته عليه السلام في كتبهم ان هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون ان الحسيد والبغى سيتم مكنان من أفئدتهم فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة : وكان أمية بن أبي الصلت المتنصر العربي كثيرا ما يقول انى لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا : وحدث سلمان الفارسي رضى الله عنه عن نفسه أنه صحب قسيساً فكان يقول له يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته أن يأكل الهدية ولا يأكل

الصدقة: وهذا الحيث كان من أسباب اسلام سلمان ولما راسل عليه السلام ملوك الارض لم يهن كتابه الا كسرى الذي ليس عنده علم من الكتاب أما جميع ملوك النصارى كالنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم فأكرموا وفادة رسله ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من رد دأاً لطيفاً وكاد يسلم لولا غيبة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن عليه السلام فى قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ماذاك إلا لا أنهم يعلمون أن المسيح عليه السلام بشر برسول يأتى من بعده ووافقت صفات رسولنا ما عندهم فأجابوا باتى هي أحسن: أما ما سمع من الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو ما لا يدخل تحت حصر وليس بعد ما ذكرته لك زيادة لمسته أكثر ومع ذلك كله فلا أعمال التى جاد الله بها على يديه والأقوال التى أنابها أعظم مقول حجتة ومؤيد لدعوته وسيأتى عليك بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى الصراط السوى

﴿ بدء الوحي ﴾

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهى أربعون سنة أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم وكان ذلك فى أول فبر اير سنة ٦١٠ من الميلاد كما أوضحه المرحوم محمود باشا الفلكى تبين بعدد قة البحث أن ذلك كان فى ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة وذلك يوافق يوليو سنة ٦١٠ وأول ما بدى به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وذلك لما جرت به عادة الله فى خلقه من التدرىج فى الامور كلها حتى تصل الى درجة الكمال ومن الصعب جداً على البشر تلقى الوحي من الملك لأول مرة ثم حجب اليه عليه السلام الخلاء ليتعد عن ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله فان

في العزلة صفاء السريرة وكان يخلو بغار (١) حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد فتارة عشرًا وتارة أكثر إلى شهر وكانت عبادته على دين أبيه إبراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فبينما هو قائم في بعض الأيام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله إلى هذه الأمة ثم قال له اقرأ قال ما أنا بقارئ فإنه عليه السلام أمي لم يتعلم القراءة قبلًا فأخذه فغطه بالتمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ فأخذه فغطه ثانية ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) نرجع بها عليه السلام يرجف ذؤاده مما ألم به من الروح الذي استلزمته مقابلة الملك لأول مرة فدخل على خديجة زوجه فقال زملوني (٢) زملوني لتزول عنه هذه القشعيرة فزملوه حتى ذهب عنه الروح فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي لان الملك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكاه فقالت كلا والله ما يخزيك الله أبدًا أنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الأوهام ولا مرأ أن الله اختارك لهداية قومك ولتؤكد خديجة مما ظنته أرادت أن تثبت ممن لهم علم بحال

(١) جبل على مقربة من مكة

(٢) لقوني في ثوب

الرسول ممن اطلعوا على كتب الاقدمين فاطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان امراً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره عليه السلام خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى لانه يعرف أن رسول الله الى أنبيائه هو جبريل ثم قال ياليتني فيها جذعاً (شاباً جلدًا) لاذيخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعاداتهم إياك وكرهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم فاستغرب عليه السلام ما نسب لقومه مع ما يعلمه من حبهم له لا تصافه بمكارم الاخلاق وصدق القول حتى سموه الا ميين وقال أو مخرجي هم قال لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي : وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى في سورة ابراهيم (وقال الذين كفروا الرسول لهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن في ملتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الاكرم عليه السلام قال وازيدركني يومك أنصرك نصر أمؤزرا (معضداً) ثم لم يلبث ورقة أن توفي

(فترة الوحي)

وفتر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون وأرجح أقوالهم فيها أن ربمون يوماً ليشتد شوق الرسول للوحي وقد كان فان الحال اشتد به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بداله أن يرمي نفسه منها حذراً من قطيعة الله له بعد أن أراه نعمته الكبرى وهي اختياره لانه يكون واسطة بينه وبين خلقه فيتبدي له الملك قائلاً أنت رسول الله حقاً فيطمئن خاطره ويرجع عماً عزم عليه حتى أراد الله أن يظهر

الوجود نور الدين فعاذ اليه الوحي

﴿ عود الوحي ﴾

فبينما هو يمشى إذ سمع صوتاً من السماء فرفع اليه بصره فاذا الملك الذي جاءه
بحراء جالس بين السماء والارض فرعب منه لتذكر ما فعله في المرة الاولى فرجع
وقال دثروني دثروني فأنزل الله تعالى عليه (يا أيها المدثر قم فأنذر) حذر الناس من
عذاب الله ان لم يرجعوا عن ذنبهم وما كان يعبداً أبائهم (وربك فكبر) خصه بالتعظيم
ولا تشرك معه في ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعداً للوقوف بين
يدين الله اذ لا يليق بالموثق المستقدر أن نجساً (والرجز فاهجر) أي اهجر
أسباب الرجز وهو العذاب بأن تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تمنن تستكثر) ولا
تهب أحداً هبة وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبت فهذا
ليس من شأن السكرام (ولربك فاصبر) على ما سيلحقك من أذى قومك حينما
تدعوهم إلى الله

﴿ الدعوة سرّاً ﴾

فقام عليه السلام بالأمر ودعا لعبادة الله أقواماً جفاة لا دين لهم الا أن
يسجدوا لا صنم لا تنفع ولا تضر ولا حجة لهم الا أنهم متبعون لما كان يعبد
آبائهم وليس عندهم من مكارم الاخلاق الا ما كان مرتبطاً بالعزة والاثقة وهو
الذي كثير مما كان سبباً في الغارات والحروب واهراق الدماء فجاءهم رسول الله
بما لا يعرفونه فذوو العقول السليمة بادروا إلى التصديق وخلع الاوثان ومن
أعتمه الرياسة أدبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته : وكان أول من سطع عليه
نور الاسلام خديجة بنت خويلد وزوجه وعلى بن أبي طالب ابن عمه وكان مقيماً عنده

يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لأن قريشاً كانوا قد أصابتهم مجاعة وكان أبو طالب
مقلداً كثير الأولاد فقال عليه السلام لعمه العباس بن عبد المطلب ان أخاك
أباً طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا إليه لئلا يخفف من عياله
تأخذ واحداً وأنا واحداً فانطلقا وعرضا عليه الأمر فأخذ العباس جعفر بن
أبي طالب وأخذ عليه السلام علياً فكان في كفالته كالأحد وأولاده إلى أن جاءت
النبوة وقد ناهز الاحتلام فكان تابلاً للأنبي في كل أعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية
من عبادة الأوثان واتباع الهوى وأجاب أيضاً زيد بن حارثة بن شرحبيل السكبي
مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد بن محمد لأنه لما اشتراه أعتقه وتبناه وكان
المتبني معتبراً كابن حقيقى يرث ويورث وأجابت أيضاً أم أيمن حاضنته التي
زوجها لمولاه زيد . وأول من أجابه من غير أهل بيته أبو بكر بن أبي قحافة بن
عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي كان صديقاً لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل النبوة يعلم ما تصف به من مكارم الاخلاق ولم يعد عليه كذباً
منذ اصطحبها فأول ما أخبره رسالة الله أسرع بالتصديق وقال بأبي أنت وأمي
أهل الصدق أنت أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله . كان رضى الله عنه صدراً
معظماً في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من أوف الناس سخياً
يبدل المال محبباً في قومه حسن المجالسة ولذلك كله كان من رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمنزلة الوزير فكان يستشيره في أموره كلها وقال في حقه (مادعوت أحداً
إلى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبي بكر) وكانت الدعوة إلى الاسلام سرّاً
حذراً من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا فيصعب استسلامهم فكان عليه
السلام لا يدعو الا من يثق به ودعا أبو بكر إلى الاسلام من يثق به من رجال

قریش فأجابه جمع (منهم) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن
 عبد مناف الأموي القرشي ولما علم عمه الحكم بإسلامه أو ثقته كتباً فآو وقال ترغب
 عن دين آباءك إلى دين مستحدث !!! والله لأحلك حتى تدع ما أنت عليه فقال
 عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وكان كهلاً
 يناهز الثلاثين من عمره (ومنهم) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى
 ابن قصي القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه
 وهو مقيد ليرجع إلى دين آبائه فقواه الله بالشبات وكان شاباً لا يتجاوز سن
 الاحتلام (ومنهم) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن
 كلاب الزهري القرشي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه السلام عبد
 الرحمن (ومنهم) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن
 كلاب الزهري القرشي ولما علمت أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بإسلامه قالت
 له يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظاني سقف من الحر والبرد وان الطعام
 والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد وبقيت كذلك ثلاثة أيام فجاء سعد إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه أمر أمه فنزل في ذلك تعليماً قول الله تعالى
 في سورة العنكبوت (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك على أن
 تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنت بينكما كنتم تعملون) وصاده جل
 ذكره بوالديه وأمره بالاحسان إليهما مؤمنين كانوا أو كافرين أما إذا دعوا
 للإشراك فالمعصية متحتمة لأن كل حق وإن عظم ساقط هنا فلا طاعة لمخلوق
 في معصية الخالق ثم قال إلى مرجعكم من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق

جزائكم وفي ختام هذه الآية فائدتان التنبيه علي أن الجزاء إلى الله فلا تحدث نفسك بخفوتهم ولا شمرا كهما والحض إلى الثبات في الدين لثلاثين شراً جزاء في الأخرى (ومنهم) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيمم ابن مرة التيمي القرشي وقد كان عرف من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلم يدعاه أبو بكر وسمع من رسول الله ما نفعه الله به ورأى الدين متيناً بعيداً عما عليه العرب من المثالب بادر إلى الإسلام (ومن) سبقوا إلى الإسلام صهيب الرومي وكان من الموالي وعمار بن ياسر العنسي وقد قال رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومأمعه الا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وكذلك أسلم أبو ياسر وأمه سمية (ومن) السابقين الأولين عبد الله بن مسعود كان يرعى النعم لبعض مشركي قريش فلما رأى الآيات الباهرة وما يدعوا إليه عليه السلام من مكارم الاخلاق ترك عبادة الاوثان ولزم رسول الله وكان رضي الله عنه كثير الدخول على الرسول لا يحجب ويمشي أمامه ويستتره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في ذراعيه (ومن) السابقين الأولين أبو ذر الغفاري وكان من أعراب البادية فصيحاً خلوا الحديث ولما بلغه مبعث رسول الله قال لا خيه اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم اتنى فانطلق الاخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع إلى أبي ذر فقال رأيت يا أبا ذر بمكارم الاخلاق ويقول كلاماً ما هو بالشعر فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره أن يسأل

عنه لما يعرفه من كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله حتى إذا أدركه الليل
 رآه على معرف أنه غريب فأضافه عنده ولم يسأل أحد منهما صاحبه عن شيء (على
 قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف عن سبب قدومه إلا بعد ثلاث) فلما
 أصبح احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى
 أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به دلي فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله الذي أضيف
 به بالأمس فأقامه فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان
 اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ثم قال له على ألا تتحدثني ما الذي أقدمك؟ قال إن
 أعطيتني عهداً أو ميثاقاً لترشدني ففعلت ففعل فأخبره قال فإنه حق وهو رسول الله
 فإذا أصبحت فاتبعني فاني إن رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كاني أريق الماء فإن
 مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يتبع أثره حتى دخل على النبي
 ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه فقال له النبي ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى
 يأتيك أمري قال والذي نفسي بيده لا صرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى
 المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقام القوم
 فضربوه حتى أضجموه وأتى العباس فأكب عليه وقال ويلكم أولستم تعلمون أنه
 من غفار؟ وإن طريق تجارتكم إلى الشام عليه فأنقذه منهم ثم دأب من الغد لمثلها
 فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه (رواه البخاري) كان رضي الله عنه من
 أصدق الناس قولاً وأزهدهم في الدنيا (ومن) السابقين سعيد بن زيد العدوي
 القرشي وزوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وأم الفضل لبابة بنت الحارث
 الهلالية زوج العباس بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن
 هاشم بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد

المخزومي القرشي ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه أم سلمة وعثمان بن مظعون الجمحي القرشي وأخوه قدامة وعبد الله والارقم بن أبي الارقم المخزومي القرشي (ومن) السابقين الاولين خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي : كان أبوه سعيد قريش اذا اعتم لم يعتم قرشي لإجلاله وكان خالد بن سعيد قد رأى في منامه أنه سيقع في هاوية فأدركه رسول الله وخلصه منها ف جاء اليه وقال الام تدعوني يا محمد قال أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع والاحسان الى والديك وأن لا تقتل ولدك خشية الفقر وأن لا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن وأن لا تقتل نفساً حرم الله قتلها الا بالحق وأن لا تقرب مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأن توفي الكيل والميزان بالتقسط وأن تعدل في قولك ولو حكمت على ذوى قرباك وأن توفي لمن عاهدت فأسلم رضى الله عنه وحينئذ غضب عليه أبوه وآذاه حتى منعه القوت فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أيه في ضواحي مكة وأسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد : وهكذا دخل هؤلاء الاشراف في دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذوى الثروة منهم ويتبعوا الرسول لئلا يكلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسم الثروة أكثر منه عليه السلام كابي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالى اختاروا الاذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالأوانع عيشة اللهم ليس ذلك الامن

هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتي أدركو امامهم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله من الهدى

(الجهر بالتبليغ)

مضت كل هذه المدة والنبي عليه السلام لا يظهر الدعوة في مجامع قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من إظهار عبادتهم حذرًا من تعصب قريش فكان كل من أراد العبادة ذهب إلى شعاب مكة يصلي مستخفياً ولما دخل في الدين مايربوا على الثلاثين وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الارقم بن أبي الارقم وهو ممن ذكرنا إسلامهم ومكث عليه السلام يدعو سرّاً حتى نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبدل الدعوة سرّاً بالدعوة جهرًا ممتثلًا أمر ربه واثقاً بوعده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشاً فقال عليه السلام أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك الهذا جمعتنا فأنزل الله في شأنه (تبث يد أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأتها حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الحطب المشى بالنميمة لأنها كانت تقول على رسول الله الأكاذيب في نوادي النساء . ثم نزل عليه في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتک الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك) أي

العشيرة الأقربون (فقل إني بريء مما تعملون) فجمعهم عليه السلام وقال لهم ان
 الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس
 جميعاً ما غررتكم والله الذي لا إله الا هو إني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس
 كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون
 ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها الجنة أبدأ ولنارا بذا فتكلم القوم
 كلاماً ليناً غير عمه أبي لهب الذي كان خصماً لدوداً فإنه قال خذوا على يديه
 قبل أن تجتمع عليه العرب فان سلمتوه اذا ذلتم وان منعتموه قتلتم فقال أبو
 طالب والله لنمنعه ما بقيناهم انصرف الجمع

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش
 واستهزؤا به في مجالسهم فكان اذا امر عليهم يقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم
 من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يريدون على ذلك فلهذا عاب
 آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم ابراهيم ثارت
 في رؤسهم حمية الجاهلية ذيرة دلى تلك الآلهة التي كان يعبدونها باؤهم فذهبوا الى
 عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا
 منه أن يخلي بينهم وبينه أو يكفه عما يتول فردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضي
 رسول الله لما يريد لا يصد عنه مراده شئ فترايد الامر وأضمرت قريش
 الحقد والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحث بعضهم بعضاً على ذلك ثم
 مشوا الى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له ان لك سناو شرفاً ومنزلة مناونا انا قد طلبنا
 منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم أبائنا وتسفيه
 عقولنا وعيب آلهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا بالتقليد في استمرارهم على عدم

اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قال تعالى في سورة البقرة (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) وقال في سورة المائدة (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) وقال في سورة لقمان (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال في سورة الزخرف في بيان حجبتهم الداحضة (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) ولما شبههم بمن قبلهم من الامم في هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد قال (قل أولو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد لا بآئهم جر ذلك الى وصف بآئهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك أضغانهم وقالوا لا بى طالب إيمان تكفه أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فغظم على أبى طالب فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه فقال له يا ابن اخي ان القوم جاؤني فقالوا الى كذا فابق على نفسك ولا تحملني من الامر مالا أطيع فظن الرسول أن عمه خاذله فقال والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه ثم بكى وولى فقال أبو طالب أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب فقل ما أحببت والله لا سلمك

(الايذاء)

ورأي رسول الله من المشركين كثير الاذى وعظيم الشدة

خصوصاً اذا ذهب الى الصلاة عند البيت وكان من اعظمهم اذى لرسول
 الله جماعة سمووا لكثرة اذاهم بالمستهزين (فاولهم) واشدهم ابوجهل
 عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي قال يوما يامعشر قريش ان محمد
 قد اتى مائرون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم وسب
 آبائكم انى اتاهد الله لاجلسن له غداً بمجر لا أطيق حمله فاذا سجد في
 صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بى بعد ذلك
 بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما اصبح أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول
 الله ينتظره وغدا عليه السلام كما كان يغدو الى صلاته وقريش فى أنديتهم
 ينتظرون ما أبوجهل فاعل فلما سجد عليه السلام احتمل أبوجهل الحجر
 أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزماً منتقعالونه من الفزع ورمى حجره
 من يده فقام اليه رجال من قريش فقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه
 لافعل ماقلت لكم فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل والله ما رأيت
 مثله قط هم بى أن يأكلنى فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل
 ولودنا لاخذه وكان أبوجهل كثيراً ما ينهى الرسول عن صلاته فى البيت
 فقال له مرة بعد أن رآه يصلى ألم أنك عن هذا فأغظ له رسول الله القول
 وهدده فقال أنه يدنى وأنا أكرأهل الوادي ناديا فأنزل الله تهديداً له فى
 آخر سورة اقرأ (كلالين لم ينته لنسفعا بالناسية ناصية كاذبة خاطئة فليدع
 نادية سندع الزبانية كلالاته واسجد واقرب) ومن أذيته للرسول ما حكاها
 عبد الله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع رسول الله فى المسجد وهو
 يصلى فقال أبوجهل ألا رجل يقوم الى فرث جزور بنى فلان فيلقيه على محمد

وهو ساجد فقام عقبه بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة مدوم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت فاطمة بنته فأخذت القذرورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال اللهم عليك الملا من قريش وسمى أقواماً قال ابن مسعود فرأيتهم قتلوا يوم بدر : ومما حصل لرسول الله مع أبي جهل أن هذا اتباع اجمالا من رجل يقال له الاراشي فمظله بأثمانها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة على أخذ ماله فدلوه على رسول الله لينصفه من أبي جهل استوزاء لما يلهونه من أفعال ذلك الشقي بالرسول فتوجه الرجل اليه وطلب منه المساعدة على أبي جهل فخرج معه حتى ضرب عليه بابا فقال من هذا قال محمد فخرج منتقما لونه فقال له الرسول أعط هذا حقه فقال أبو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتى أخذ دينه فقالت قريش ويلك يا أبا الحكم مارأينا مثل ما صنعت قال ويلكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي حتى سمعت صوتا ملئت منه رعبا وان فوق رأسي فحلل من الابل مارأيت مثله (ومن جماعة المستهزئين) أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله كان أشد عليه من الابعاد فكان يرمي القذر على بابا لانه كان جارا له فكان الرسول يطرحه ويقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا وكانت تشاركه في قبيح عمله وزوجه أم جميل بنت حرب بن أمية فكانت كثير امانت رسول الله وتكلم فيه بالنمائم وخصوصا بعد أن نزل فيها وفي زوجها سورة أبي لهب (ومن المستهزئين) عقبه بن أبي معيط كان الجار الثاني لرسول الله

وكان يعمل معه كأي لخب صنع مرة وليمة ودأ لها كبراء قریش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبي بن خلف الجمحي القرشي وكان صديقا له فقال ما شيء بلمني عنك قال لا شيء دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي حتي أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له قال أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ عنقه وتبزق في وجهه وتلطم بينه فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) ومن أشد ما صنعه ذلك الشقي برسول الله ما رواه البخاري في صحيحه قال بينما النبي صلى في حجر الكعبة اذا قبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فخذه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر حتي أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) ومن جماعة المستهزئين العاصي بن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص كان شديدا للعداوة لرسول الله وكان يقول غر محمدا أصحابه أن يحيا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر فقال الله ردا عليه في دعواه في سورة الجاثية (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) وكان عليه دين خباب بن الارت أحد رجال المسلمين فتقاضاه ياء فقال العاصي أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما يبتغي أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم قال خباب بلى قال فأنظرني الى هذا اليوم فساوتي مالا وولدا أو أفضيك دينك

فأنزل الله فيه في سورة مريم (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولد أظلم الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمدله من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) ومن جماعة المستهزئين ، الاسود ابن عبد يغوث الزهرى القرشى من بنى زهرة أخوال رسول الله كان اذا رأى اصحاب النبى مقبلين يقول قد جاءكم ملك الارض استهزاء بهم لانهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله سخريه أما كلمت اليوم من السماء (ومنهم) الاسود بن عبد المطلب الاسدى ابن عم خديجة كان هو وشيعته اذا امر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم نزل في سورة التطفيف (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا لئن هؤلاء لضالون) ومنهم الوليد بن المغيرة عم أبى جهل كان من عظماء قريش وفى سعة من العيش سمع القرآن مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آتفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له خلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لممدق وانه يعلم وما يعلم فقال قريش صبا والله الوليد لتصبأ قريش كلها فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فتوجه وقعد اليه حزينا وكلمه بما أحمده فقام فاتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يهوس وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو فقكر قليلا ثم قال ما هو الاساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ووولده ومواليه فاترج

الننادى فرحاً فانزل الله في شأن الوليد في سورة المدثر مخاطباً بالسواه (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطعم أن أزيد كلا إنه كان لا يأتنا عند أسأرهقه صعوداً إنه فكر وقد رقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر : ثم نظر ثم عبس وبسر : ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا الا قول البشر : سأصليه سقر) وأنزل فيه أيضاً في سورة ن (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف وكفى بهذا زاجر المن اعتاد الحلف (مهين) حقير وأراد به الكذاب لأنه حقير في نفسه (همار) عياب طعان (مشاء بنعيم) ينقل الاحاديث للافساد بين الناس (مناع للخير معتد أثم عتل) غليظ جاف « بعد ذلك زعيم » دخیل (أن كان ذامال وبنين اذ اتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين : سنسمه على الخرطوم) كناية عن الازلال والتحقير لان الوجه أكرم عضو والانف أشرف ما فيه ولذلك اشتقوا منه كل ما يدل على العظمة كالانفة وهي الحمية فالوسم على أشرف عضو دليل الازلال والاهانة (ومن) المستهزئين النضر ابن الحارث العبدري من بني عبد الدار بن قصي كان اذا جلس رسول الله مجلسا للناس يحدثهم ويذكرهم ما أصاب من قبلهم قال النضر هلموا يامعشر قريش فاني أحسن منه حديثاً ثم يحدث عن ملوك فارس وكان يعلم أحاديثهم ويقول ما أحاديث محمد الأساطير الاولين وفيه نزل في سورة لقمان (ومن الناس من يشترى لهُ الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعهما كان في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى في التنزيل في سورة الحجر (إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف

يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره الوعد في صورة الماضي للتحقيق من وقوعه لان الآية مكية وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة فمنهم من قتل كابي جهل والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ومنهم من ابتلاه الله بامراض شديدة فهلك منها كابي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة

(اسلام حمزة)

وكان بعض إيدائهم هذا سبباً لاسلام عمه حمزة بن عبد المطلب فقد أدر كته الحمية عند ما يريته بهض الجوارى بايذاء أبي جهل لابن أخيه فتوجه الى ذلك الشقي وغاضبه وسبه وقال كيف تسب محمداً وأنا على دينه ثم انار الله بصيرته بنور اليقين حتي صار من أحسن الناس إسلاماً وأشدهم ذيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتى سمي أسد الله

وكما أودى الرسول عليه الصلاة والسلام أودى أصحابه لا تباءهم له خصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه وكل هذا الاذى كان حلوا في أعينهم مادام فيه رضا الله فلم ينتوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى أتم أمره على أيديهم وصاروا مملوك الأرض بعد أن كانوا مستضعفين فيها كمال قال جل ذكره في سورة القصص (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ما أراد (ومن) الذين أودوا في الله بلال بن رباح كان مملوكاً لامية بن خلف الجمحي القرشي فكان يجمعل في عنقه حبلاً ويدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحداً أحداً لم يشغله ما هو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به في وقت الظهيرة في الرمضاء وهي الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة

لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره : ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد : مر به أبو بكر يوماً فقال يا أمية أمتقي الله في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسده فأنقذه مما تري فاشتراه منه وأعتقه فأنزل الله فيه وفي أمية في سورة الليل (فأنذركم ناراً تلتلظى لا يصلها إلا الاثني) أمية بن خلف (الذي كذب وتولى وسيجنها الاتقي) الصديق (الذي يؤتى ماله يتزكي وماله أحد عنده من نعمة تجزي . الابتغاء وجهه الأعلی ولسوف يرضي) بما يعطيه الله في الأخرى جزاء أعماله وقد نبه الله جل ذكره على أن بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن إلا ابتغاء وجهه وكفي بهذا شرفاً وفضلاً للصديق رضي الله عنه وأرضاه وقد أعتق غير بلال جماعة من الأرقاء أسلموا فباعهم مواليتهم (ومنهم) حمامة أم بلال وعمار بن فهيرة كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول وأبوفكيهة كان عبداً للصنفوان بن أمية بن خلف (ومنهم) امرأة تسمى زينة عذبت في الله حتى عميت فلم يزدها ذلك إلا إيماناً وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيراً ما سبقونا إليه أفتسبقنا زينة إلى رشد فأنزل الله في سورة الاحقاف (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا فلك قديم) (ومن) أعتق أبو بكر بمشرائه أم عنيس كانت أمة لابني زهرة وكان يعذبها الأسود بن عبد يوث (ومن) عذب في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة اللهم انفر لآل ياسر وقد فعلت أما أبو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمة الله وأما هو فقتل عليه العذاب

فقال بلسانه كلمة الكفر فان أبا جهل كان يحمل له دروع الحديد في اليوم الصائف ويلبسه إياها فقتل المسلمون كافر عمار فقال عليه السلام عمار ملئ إيماناً من فرتة الى قدميه وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره في سورة النحل (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولم يكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (ومن أودى في الله) خباب بن الارت سبني في الجاهلية فاشتريته أم أعمار وكان حداداً وكان النبي يألفه قبل النبوة فلما شرفه الله به أسلم خباب فمكثت مولاته تعذبه بالنار فتأتي بالحديدة المحمأة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا ينزيده ذلك الا إيماناً وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقال يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقمع عليه السلام محمراً وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد مادون عظامه من لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتي يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت (١) لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال ذلك عليه السلام وهو في هذه الحال الشديدة التي لا يتصور فيها عقل العقلاء وأنبل النبلاء قوة منتظرة أو سعادة مستقبلة اللهم الا أن ذلك وحي يوحى اليه ثم أنزل الله تعالى تشبيهاً للمؤمنين أول سورة العنكبوت (الهم احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون : ولقد فتنا الذين من قبلهم فإليهم الله الذين صدقوا وإليهم الكاذبين) (ومن أودى في الله) أبو بكر الصديق ولما اشتد عليه الاذى أجمع

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر وقيل موضع في أقصى أراضي هجر اه

أمره علي الهجرة من مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك الغماد فلقية ابن
الدغنة وهو صيد قمييلة عظيمة اسمها القارة فقال الى أين يا أبا بكر فقال أخرجني
قومي فأريد أن أسبح في الارض وأعبد ربى فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر
لا يخرج انك تكسب الممدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف
وتعين على نوائب الحق فأنالك جار فارجم واعبد ربك ببلدك فرجم وارتحل ابن
الدغنة معه وطاف في أشراف قريش فقال لهم أبو بكر لا يخرج مثله أخرجون
رجلا يكسب الممدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويمين على
نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مرأبا بكر فليعبد ربه
في داره فليصل فيه ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانأخشي
ان يفتن نساء ناوأبناء فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث بذلك يعبد ربه في
داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً
بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذ عليه نساء المشركين وأبناءؤم وهم
يعجبون منه وينظرون اليه وكان رجلاً بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فأفزع
ذلك أشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا قد أجرنا
أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره
فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فان أحب أن
يقصر على أن يعبد ربه بفناء داره فعل : وانا أبي الا أن يعلن ذلك فسله أن يرد اليك
ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان ذاتي ابن
الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقصر على ذلك واما أن
ترجع الى ذمتي فاني لأحب أن تسمع العرب أنى أخفرت في رجل عقدت له فقال

أبو بكر فاني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله (رواه البخاري) وكان ذلك سبباً لا يصلح أذي عظيم الى أبي بكر رضي الله عنه وبالجملة فلم يخل أحد من المسلمين من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدي تلقاء ثباتهم وعظيم إيمانهم فانهم لم يسلموا الغرض دينوي يرجون حصوله فيسهل ارجاءهم ولكن وفقهم الله لا دراك حقيقة الايمان فرأوا كل شيء دونه سهلاً

ولما رأى كفار قریش أن ذلك الاذي لم يجد لهم نفعاً بل كلما زادوا المسلمين أذى ازداد يقينهم اجتمعوا للشوري فيما بينهم فقال لهم عتبة بن ربيعة العبد المشي من بني عبد شمس بن عبد مناف وكان سيداً مطاعاً في قومه يومه يا معشر قریش ألا أقوم لمحمد فاكلمه وأعرض عليه أموراً عليه يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا فقالوا يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه فذهب الى رسول الله وهو يصلي في المسجد وقال يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسباً ونسباً وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفقت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضي من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها العلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام قل يا أبا الوليد اسمع

فقال يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا لجمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شر فاسودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رثيلاً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطلب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي فقال عليه الصلاة والسلام فقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أول سورة فصلت

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما ألهمكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروا وويل للشركيين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرتهم كافرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون: قل أنتم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لآنزل ملائكة فأنابا أرسلتم به كافرون) فأمسك عتبة فيه وناشده الرحم أن يكف عن ذلك فلما رجع عتبة سألوه فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر يامعشر قريش أطيعوني فاجعلوها لى خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحر ك محمد فقال هذا رأيي ثم عرضوا عليه بعد ذلك أن يشاركهم في عبادتهم ويشاركوه في عبادته فانزل الله في ذلك (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون

ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا بدماء عبدتم : ولا أنتم عابدون ما أعبد : لكم دينكم
 (ولى دين) فلا تتوهموا اني أجيبكم لطلبكم من الاشرار بالله فأيسوا منه
 وطلبوا بعد ذلك أن ينزع من القرآن ما ينيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد
 فيأتي بقرآن غيره أو يبدله فأنزل الله جوابا لهم في سورة يونس (قل ما يكون
 لى أن أبدله من تلقاء نفسى إذ أتبع إلا ما يوحى الى) وقد حصل له مع كفار قريش
 نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضيء به وهى انه بينما الرسول
 عليه السلام مع كبراء قريش وأشرافهم يتألفهم ويعرض عليهم القرآن وما جاء به
 من الدين اذا قبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم الاعمى وهو ممن أسلموا قديما
 والنبي مشغول بالقوم وقد لقي منهم مؤانسة حتى طمع في إسلامهم فقال له عبد
 الله يا رسول الله علمنى مما علمك الله واكثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره
 قطعه لكلامه وخاف عليه السلام أن يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه
 قلب أولئك الاشراف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله أول سورة (عبس
 وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتفتنعه الذكري : أأمان
 استغنى فأتت له تصدي : وما عليك ألا يزكى : وأأمان جاءك يسمعي وهو
 يخشى : فانت عنه تلهى) فما عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها فى
 وجهه فقير وكان اذا أتقبل عليه عبد الله بن أم مكتوم يقول له مرحبا بمن
 عاتبنى فيه ربي

ولما رأى المشركون أن هذه المطالب التى يعرضونها لا تقبل منهم أرادوا أن
 يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات فاجتمعوا وقالوا يا
 محمد ان كنت صادقا فأرنا آية نطلبها منك وهى أن تشق لنا القمر فرقتين فاعطاه

الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين فقال رسول الله اشهدوا هذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الاولين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن عباس وغيره ورواها عنهم جمع غزير حتى صار الحديث كالمثوات وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى أول سورة القمر (اقتربت الساعة وانشق القمر) فحينئذ رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحركم ابن أبي كبشة فانزل الله فيهم (ولان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ثم سألوا الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعت وتالعناد فمنها أن قالوا كما في سورة الاسراء (لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفتجرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) وتأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترفى في السماء ولن يؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) ولم يجبههم الله الا بقوله قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرار سولا (لان الله علم ما تكمنه جوارحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البينات كما قال جل ذكره في سورة الانعام (وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) وكيف يرجي الخير ممن قالوا كما في سورة الانفال (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه وهذه سنة من سنن الانبياء اذا رأوا من طلاب الآيات عنادا وانهم يطلبونها تمجيذا لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما حصل لعاد وثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله تعالى في سورة الاسراء (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها

الاولون) وقد حصل للمسيح عليه السلام أنه لما وقف أمام هيردوس طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه فلما رأى ذلك سخر منه وورده الى عدوه بيلاطس بعد أن كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك مذكور في الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا (هذا) ولما رأى المشركون ضعفهم عن مقاومة المسلمين بالبرهان تحولوا الى سياسة القوة التي اختارها قوم ابراهيم عندما عجزوا عنه حيث قالوا (حرقوه وانصروا آلهتكم) كما في سورة الانبياء أما هؤلاء فازدادوا بالاذي على كل من أسلم رجاء صدهم عن اتباع الرسول عليه السلام ولم يتركوا باباً الا وجوه فقال عليه السلام لاصحابه تفرقوا في الارض فان الله سيجمعكم فسألوه عن الوجه فاشار الى الحبشة

(هجرة الحبشة الأولى)

فعند ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم كما أشار عليه السلام وهذه هي أول هجرة من مكة وعدة أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله وأبوسلمة وزوجه أم سلمة وأخوه لأمه أبوسبرة بن أبي رهم وزوجه أم كلثوم وعامر ابن ربيعة وزوجه ليلى وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون ومصعب بن عمير وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوام وجلهم من قريش وكان عليهم فيما روى ابن هشام عثمان بن مظعون فساروا على بركة الله ولما انتهوا الى البحر استأجروا سفينة أوصلتهم الى مقصدهم فأقاموا آمنين من أذي يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبي عليه السلام الا القليل

(إسلام عمر)

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوي القرشي بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم ، قالت ليلى احدي المهاجرات لارض الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أن أتوجه الى أرض الحبشة اذا أنا به فقال لي الى أين يأم عبد الله فقلت قد آذيتمونا في ديننا نذهب في أرض الله حيث لا تؤذي فقال سبحانه الله فلما جاء زوجي عامراً أخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدة كراهته للمسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه قال قبيل إسلامه اللهم أعز الإسلام بعمر وكان إسلامه في دار الارقم ابن أبي الارقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد حقق الله بإسلامه ما رجاه عليه السلام فقد قال عبد الله بن مسعود من رواية البخاري (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) فانه طلب من رسول الله أن يعان صلاته في المسجد ففعل وقد أدرك الكفار كآبة شديدة حينما رأوا عمر أسلم وكانوا قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع حول داره ينتظرونه فجاء العاص بن وائل السهمي وهو من بني سهم حلفاء بني عدى قوم عمر وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بجزير فقال لعمر ما بالك فقال زعم قومك انهم سيقتلوني أن أسلمت قال لا سبيل اليك فأنا لك جار فأمن عمر وخرج العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون قالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لا سبيل اليه فرجع الناس من حيث أتوا

(رجوع مهاجري الحبشة)

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا الى مكة حيث لا تيسر لهم الإقامة فيها لانهم قليلو العدد وفي الكثرة بعض الانس وأضعف الى ذلك انهم أشرف قریش ومعههم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة

وقد أولم بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سببا في رجوع مهاجري الحبشة وهي انه بلغهم اسلام قومهم حينما قرأ عليهم الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاما حسنا عن آلهتهم حيث قال بعد (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) تلك الغرائق (جمع غرنوق وهي الطيور ويراد بها الملائكة) العلى وان شفاعة تترجى، فسجدوا عظما لذلك وفرحوا وهذا مما لا تجوز روايته الا على قليلي الادراك الذين ينقلون كل ما وجدوه غير متثبتين من صحته وهانحن أولاء نسوق لك أدلة النقل والعقل على بطلان ما ذكر أما الحديث فسنده ومثته قلقان فالسند قال فيه القاضى عياض في الشفاء لم يخرج له أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم وأما المتن فليس اصحاب رسول الله ولا المشركون مجانين حتى يسمعو امدحا أثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الاصنام قال (إن هي الا اسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لاتخذ الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه أدنى حجة فكيف بهذه وليس ذلك القيل أقل من تحويل القبلة الى الكعبة وهذا قالوا فيه ما قالوا حتى سماهم الله سفهاء وأنزل فيهم في سورة البقرة (سيقول السفهاء

من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) ولكن لم يسمع عن أى واحد من رجالهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال مالك ذممت آلهتنا بعد ان مدحتهما وكان ذلك أولى لهم من تجريد السيوف وبذل مهج الرجال، على أن المؤرخين الذين يتقلون هذه العبارة ويعملونها سبباً لرجوع مهاجري الحبشة يقولون أثناء كلامهم ان الهجرة كانت في رجب والرجوع كان في شوال ونزول سورة النجم كان في رمضان فالمدة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد والمتأمل أدنى تأمل يرى أن الشهر كان لا يكفي في ذلك الزمن للذهاب من مكة الى الحبشة والاياب منها لانه لم يكن اذذاك مراكب بخارية تسهل السير في البحر ولا تلغراف يوصل خبر إسلام قريش لمن بالحبشة فلا غرابة بعد ذلك أن قلنا ان هذه الخرافة من موضوعات أهل الاهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين ولكن الحمد لله فقد من علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا وبين كل مفتر كذاب فقي السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى) والذي يلقيه الشيطان من أقبح ما يروى فكيف يقوله عليه السلام أو يجري على لسانه مما ثبت الشكوك في الوحي الامر الذي يريده السفهاء رد الله كيدهم في نحرهم . والذي ورد في الصحيح في موضوع هذا السجود ما رواه عبد الله بن مسعود أن النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من كان معه إلا رجلاً أخذ كفاً من حصي وضعه على جبهته وقال يكفيني هذا فرأيت قتله بعد كافراً وليس في هذا الحديث أدنى دلالة على أن الذين سجدوا معهم مشركون بل الذي يفيد قوله فرأيت قتله بعد كافراً أنه كان مسلماً ثم رأيت ارتدوهذا إما حصل من بعض ضعاف القلوب الذين

لم يتحملوا الاذي فكفروا منهم على بن أمية بن خلف (هذا) ولما رجع مهاجرو الحبشة الى مكة لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجد له مجيراً فدخل ابو سلمة في جوار خاله أبي طالب ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وقد رده عليه جواره حينما رأي ماضيه بالمسلمين فلم ير أن يكون مرتاحاً و أخوانه يمدبون

﴿ كتابة الصحيفة ﴾

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد مناف الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه فأبوا عليهم ذلك ثم عرضوا على أبي طالب أن يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم ابن أخيه فقال عجباً لكم تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه فلما رأوا ذلك أجمعوا أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب ولدى عبد مناف واخرجهم من مكة والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعونهم حتى يسلموا محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب أبي طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ماعداً أبا لهب فإنه كان مع قريش وانحزل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكان أعداؤهم يتمتعون بالتجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين أبو لهب

(هجرة الحبشة الثانية)

وبعد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع المسلمين أن يهاجروا للحبشة حتى يساعد بعضهم بعضاً على الاختراب فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب وزوجه

أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبدالله بن مسعود وعبيد الله بن جحش وامراته أم حبيبة بنت أبي سفيان وتوجه لهم الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون أبو موسى وبنو عمه ولما رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو ابن العاص وعمار بن الوليد هدايا إلى النجاشي ليسلم المسلمين فرجعوا ررجعة ولم ينالوا من النجاشي إلا هانة لما خاطبوه به من إخفار ذمته في قوم لا ذوابه أما بنو هاشم فمكثوا في الشعب قريبا من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لا يصلهم شيء من الطعام إلا خفية

(نقض الصحيفة)

وقد قام خمسة من أشراف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو أعظمهم في ذلك بلاء وزهير بن أبي أمية المخزومي ابن عم الرسول عاتكة والمطعم بن عدي النوفلي وأبو البختری ابن هشام الاسدي وزمعة بن الاسود الاسدي وانفقوا على ذلك ليلا فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنا أكل الطعام ولبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلك لا يبيعون ولا يتعاون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة لا بي جهل أنت والله أ كذب ما رضىنا كتابتها حين كتبت فقال أبو البختری صدق زمعة وقال المطعم بن عدي صدقنا وكذب من قال غير ذلك وصدق على ما قيل هشام ابن عمرو فقام إليها المطعم بن عدي فشتمها وكانت الأرض قد اكنتها فلم يبق فيها إلا ما فيه اسم الله وقد أخبر النبي عليه السلام عمه أبا طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر فخرج القوا إلى مساكنهم بعد هذه الشدة

(وفود نجران)

وقد وفد علي الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ما ذكر منها في كتبهم وكانوا عشرين رجلاً أو قريباً من ذلك فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل ما رأينا ربك أبأحق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصباكم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه فأنزل الله في ذلك في سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبل مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) وقد كان أهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالحجة رموه بالسحر مرة وبالكذب أخرى وبالجنون طور وبالكهانة تارة كل ذلك شأن العاجز المعاند الذي لا يستحي لمزيد عناده أن يقول (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)

(وفاة خديجة رضي الله عنها)

وبعد خر وجه عليه السلام من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجه رضي الله عنها كان عليه السلام كثيراً ما يذكرها ويترحم عليها ولا خرابة فهي أول نفس زكية صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده كلهم

ماعد ابراهيم فمئها زينب وهي أكبر بناته تزوجها في الجاهلية أبو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة التي تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ومنها رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان الاولي بمكة قبل الهجرة وهاجر بها الي الحبشة والثانية بالمدينة بعد أن ماتت أختها ومنها فاطمة وهي أصغر بناته تزوجها علي ابن أبي طالب وقد جاءت خديجة باولاد توفوا صغارا ولم يعيش بعد رسول الله من أولاده إلا فاطمة عاشت بعده قليلا: ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزننا شديدا لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجة الكفار عنه لما لها من الجاه في عشيرتها بنى أسد ومنها القاسم وكان به يكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر

﴿زواج سودة﴾

وعقد عليه السلام في الشهر الذي ماتت فيه خديجة على سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد أن توفي عنها زوجها وابن عمها السكران بن عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبنى عمها وهاجرت مع زوجها الي الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرته توفي عنها فلم يكن ثم أجمل مما صنعه الرسول بزواج رجل آمن به ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من النظافة وكراهة الاسلام لقتلوا وكرم نسبها في قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسبا وشرفا

﴿زواج عائشة رضي الله عنها﴾

وبعد ذلك بشهر عقد علي عائشة بنت صديقه أبي بكر وهي لا تتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوج عليه السلام بكراً غيرها ودخل عليها بالمدينة أما

سودة فدخل عليها بمكة

وبعد وفاة خديجة بنحو شهر توفي عمه أبو طالب الذي كان ينعمه من أذى أعدائه ومع أنه كان لا يكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته وفيه نزل في سورة القصص (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) ولكن لأعماله العظيمة التي عملها مع رسول الله نرجو أن يخفف عنه وعدم إسلامه بل هو وغالب أقارب الرسول فيه من الحكمة ما لا يخفى فانهم لو بادروا باتباعه لقيل قوم يطلبون سيادة وفخرا ليسالهم فجاءوا بهذا الأمر المفتري ولكن لما رأى المعاندون أن متبعيه هم الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من أعدائها أحيانا كعثمان ابن عفان من بنى أمية لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها اللهم إلا ادعائهم الكاذبة التي كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة من قولهم ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالنيب، وقد سمي رسول الله هذا العام الذي فقده فيه زوجه وعمه عام الحزن ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم يمكنها نياله في حياة أبي طالب واشتد الأمر عليه حتي كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاته وتعلقت به كفار قريش مرة يتجاذبونهم ويقولون له انت الذي تريدان تجعل الآلهة إلها واحدا فما تقدم احد من المسلمين حتي يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف إلا أبو بكر فانه تقدم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله

(هجرة الطائف)

فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد أن يتوجه إلى ثقيف بالطائف (١)
 يرجو من نصرته على قومه ومساعدته حتى يتم أمره بل لأنهم أقرب الناس إلى
 مكة وله فيهم خوؤة فإن أم هانئ بن عبد مناف عاتكة السلية من بني سليم بن منصور
 وهم حلفاء ثقيف فلما توجه إليهم ومعه مولا زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا
 ثلاثة عبد ياليل ومسمود وحبيب أولاد عمرو بن عمرو الثقفي فعرض عليهم نصرته
 حتى يؤدي دعوته فردوا عليه ردا قبيحا ولم ير منهم خيرا وحينذاك طلب منهم
 أن لا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاها لانه استعان عليهم بأعدائهم
 فلم تفعل ثقيف ما رجاه منهم عليه السلام بل أرسلوا سفهاءهم وغلماهم يقفون في
 وجهه في الطريق ويرمون به بالحجارة حتى أدموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ
 عنه إلى أن انتهى إلى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة
 ابني ربيعة وهما من أعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكانهما فداء
 الله قائلا (اللهم اني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين
 أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني أن يكتن بك غضب على فلا
 أبالي) فلما رآه ابناربيعة رقاه وأرسل إليه بقطف من العنب مع مولى لهما نصراني
 اسمه عداس فلما ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل قال (بسم الله الرحمن
 الرحيم) فقال عداس هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له عليه السلام
 من أي البلاد أنت وما دينك فقال نصراني من نينوى (٢) فقال له عليه السلام
 من قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال وما علمك يونس فقرأ له من القرآن

(١) بلاد في الجنوب الشرقي من مكة

(٢) بلاد على شاطئ دجلة وهي آخر ما ينتهي إليه العراق وأمامها مدينة الموصل

مافيه قصة يونس فلما سمع ذلك عداس أسلم : وأتى جبريل برسالة من الله جل ذكره وقال ان الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك فقال عليه السلام (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) فقال جبريل صدق من سماك الرؤف الرحيم . ولما كان بنخلة وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن وهم ممن ينتمون الى موسى صلوات الله عليه فلما سمعوه أنصتوا له ورجعوا الى قومهم منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل في سورة الاحقاف (ولما صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين : قالوا يا قومنا اناسمعا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويمحركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) وقد قص الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشدا فآمنوا به ولن نشتك بربنا أحدا)

(الاحتماء بالمطعم بن عدي)

ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله مكة لمعاملته كفارقريش من انه توجه الى الطائف يستنصر بأهلها عليهم فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يخبره انه سيدخل مكة في جواره فأجاب الى ذلك وتسليح هو وبنوه وتوجهوا مع

رسول الله الى المطاف فقال له بعض المشركين أحمير أنت أم تابع فقال بل
محير قالوا اذا لا تخفر ذمتك

﴿وفددوس﴾

وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسي من قبيلة
دوس عشيرة أبي هريرة الصحابي الشهير وكان الطفيل شريفا في قومه
شاعرا نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال له رسول الله اذهب الى قومك
فادعهم الى الاسلام ودعاهم رسول الله فقال اللهم اهددوسا فتوجه اليهم الطفيل
ودعاهم فأمن بدعوته كثير منهم وستأتي وفادته على الرسول مرة ثانية
يقومه في المدينة

﴿الاسراء والمعراج﴾

وقبل الهجرة أكرمته الله بالاسراء والمعراج أما الاسراء فهو توجهه
ليلا الى بيت المقدس بايلياء ورجوعه من ليلته وأما المعراج فهو صعوده الى
العالم العلوي وقد قال جمهور أهل السنة ان ذلك كان بجسمه الشريف
وكانت عائشة رضي الله عنها تمنع رؤية رسول الله ربه وتقول من قال ان محمدا
رأى ربه فقد أعظم القرية على الله والاسراء مذكور في القرآن الكريم
قال تعالى في أول سورة الاسراء (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)
وأما المعراج فقد ورد في صحيح السنة وأصح أحاديثه ما رواه الشيخان ونقله
الإقاضي عياض في شفاؤه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند

منتهي طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي
 تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني
 جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم
 عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك
 قال محمد قيل وقدمت اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي
 ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقدمت اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا
 بابن الخالة يحيى وعيسى بن مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
 الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطي شطر
 الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا أنا بآدم
 فرحب بي ودعا لي بخير قال تعالى في سورة مريم (ورفعهما مكانا عليا)
 ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير
 ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي
 بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره الى
 البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
 الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من
 أمر ربى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها
 فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على وعلى أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
 فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع

الى ربك فسله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك
وخبيرتهم قال فرجعت الى ربي وقلت يا ربي خفف عن أمتي فحطت عني خمسا
فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجم الى
ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أراجع بين ربي تعالى وبين موسى حتي قال سبحانه
يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلک خمسون صلاة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشر او من هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب له شيئا ومن هم بسيئة فعملها كتبت له حسنة واحدة قال فزات
حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد
رجعت الي ربي حتى استحييت منه . ثم رجعت عليه السلام من ليلته فلما أصبح غدا
الي نادى قريش فجاء اليه ابو جهل بن هشام فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما جرى له فقال ابو جهل يا بني كعب بن لؤي هلم وافا قبل عليه كفار قريش فاخبرهم
الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتدناس
ممن كان آمن به من ضعاف القلوب وسمى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك
لقد صدق قالوا أتصدق على ذلك قال اني لا صدقه على أبعد من ذلك فسمى من ذلك
اليوم صدّيقا ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله فسألوه نعمت بيت المقدس وفيهم
رجال رأوه أما رسول الله فلم يكن رآه قبل ذلك فجلاله الله له فصار يصفه لهم بابا
بابا وموضعا وموضعا فقالوا اما النعمت فقد أصاب فأخبرنا عن غيرنا وكانت لهم غير
قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشهدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل
منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها

جمل أورك كما قال محمد لم يزدكم ذلك إلا كبر أو عناد آحتى قالوا هذا سحر مبين
وفي صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل وعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها
فيصلى ركعتين اذا ظهر الفجر وأربع ركعات اذا زالت الشمس ومثلها اذا ضوعف
ظل الشيء وثلاثا اذا غربت وأربعاً اذا غاب الشفق الأحمر وكان عليه السلام قبل
مشر وعية الصلاة يصلى ركعتين صباحاً ومثلهما مساءً كما كان يفعل ابراهيم
عليه السلام

(العرض على القبائل)

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجد من قريش منعه من تأدية
الرسالة وتسليط الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله أن يظهر أمر الدين على أيدي
غيرهم من العرب فكان عليه السلام يخرج في المواسم العربية (وهي أسواق كانت
العرب تعقدها للتجارة والمفاخرة) ويعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يؤدى
رسالة ربه فكان بعضهم يرد دأجميلاً وآخر دأقييحا وكان من أقبح القبائل
ردأبنو حنيفة رهط مسيلة الكذاب وطلب منه بنو عامر ان هم آمنوا به أن
يجعل لهم أمر الرياسة من بعده فقال لهم الامر لله يضعه حيث يشاء وكان من الذين
يحجون البيت عرب يثرب وهى مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان
إحدهما من ولد الاوس والثانية من ولد الخزرج وهما اخوان وكان بين
اولادهما من العداوة ما يجعل الحرب لا تضع أوزارها بين الفريقين فكانوا دائماً
في شقاق ونزاع وكان يجاورهم فى المدينة أقوام من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو
قريظة وبنو النضير وكان لهم الغلبة على يثرب أولاً فحاربهم العرب حتى صاروا
ذوى النفوذ فيها والقوة وكان اليهود اذا خذلوا يستفتحون على أعدائهم باسم نبي

بيعت قد قرب زمانه ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الالفه حالفوا
اليهود على أنفسهم فحالف الاوس بنى قريظة وحالف الخزرج بنى النضير وبنى
قينقاع وآخر الايام بينهم يوم بعث قتل فيه أكثر رؤسائهم ولم يبق الا عبد الله بن
أبي بن سلول من الخزرج وأبو عامر الراهب من الاوس ولذلك كانت عائشة
تقول كان يوم بعث يوم أقدمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطر ببال
رؤساء الاوس أن يحالفوا قريشاً على الخزرج فأرسلوا إلياس بن معاذ وأبا الحيسر
أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون ذلك الحلف في قريش فلما جاؤا مكة جاءهم رسول
الله وقال هل لكم في خير مما جئتم له أن تؤمنوا بالله وحده ولا تشر كوا به شيئاً وقد
أرسلني الله الى الناس كافة تم تلا عليهم القرآن فقال إلياس بن معاذ يا قوم هذا والله
خير مما جئنا له، فحصبه أبو الحيسر وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فاسكت
(بدء إسلام الانصار)

ولما جاء الموسم تعرض رسول الله لنفر منهم يبلغون الستة وكلهم من الخزرج
وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث من بنى النجار ورافع بن مالك من بنى زريق
وقطبة بن عامر من بنى سلمة وعقبة بن عامر من بنى حرام وجابر بن عبد الله من بنى
عبيد بن عدى ودعاهم الى الاسلام ولى معاونته في تبليغ رسالة الرب فقالت بعضهم
لبعض انه للنبي الذي كانت تعدكم بهيهود فلا يسبقنكم اليه، فأمنوا به وصدقوه
وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز
منك ووعدوه المقاتلة في الموسم المقبل وهذا هو بدء الاسلام لعرب يثرب

(العقبة الاولى)

فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً منهم عشرة من الخزرج واثنا من
الاوس وهم أسعد بن زرارعة وعوف ومعاذ بن الحارث ورافع بن مالك وذكوان بن
قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عباد وعقبة بن عامر وقطبة بن
عامر وهؤلاء من الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة وهما من
الاوس فاجتمعوا به عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله على بيعة النساء وذلك
قبل أن تفرض الحرب على ألا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا
اولادهم ولا يأتوا بهنات يفترونه بين ايديهم وأرجلهم ولا يعصونه في معروف
فان وفوا لهم الجنة وان غشوا من ذلك شيئاً فأمرهم الى الله عز وجل ان شاء غفروا
ان شاء عذب وهذه هي العقبة الاولى فأرسل لهم عليه السلام مصعب بن عمير العبدري
وعبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خالة خديجة يقرأهم القرآن ويفقههم في الدين
ونزل مصعب على أحد الملبأين أبي أمية أسعد بن زرارعة وصار يدعو بقية الاوس
والخزرج للإسلام وبينما هو في بستان مع أسعد بن زرارعة إذ قال سعد بن معاذ رئيس
قبيلة الاوس لا سيد بن حضير ابن عم سعد ألا تقوم الى هذين الرجلين اللذين
أتيا يسفهان ضعفاء نالزجرهما فقام لهما أسيد بحرته فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا
سيد قومك قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ماجاء بكما تسفهان
ضعفاءنا اعتزلا ان كان لكما بانفسكما حاجة فقال مصعب أوتجلسا فتسمع فان
رضيت أمراً قبلته وان كرهته كففتنا عنك ما تكره فقرأ عليه مصعب القرآن
فأسعد بحسن دين الاسلام وهداه الله له فتشهد ورجع الى سعد فسأله عما فعل فقال
والله ما رأيت بالرجلين بأساً فغضب سعد وقام لهما متعظاً ففعل معه مصعب كسابقه

فهداه الله للإسلام ورجع لرجال بني عبد الأشهل وهم بطن من الأوس فتال لهم ما
تعدوني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا قال كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى
تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الأشهل إلا أجابه وقد انتشر الإسلام في
دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث الأمر بالإسلام

(العقبة الثانية)

ولما كان وقت الحج في العام الذي يلي البيعة الأولى قدم مكة كثير من منهم
يريدون الحج ويبتغيهم كثير من مشركيهم ولما قابل وفد رسول الله وأعدوه للمقابلة
ليلا عند العقبة فأمرهم أن لا ينهوا في ذلك الوقت نائماً ولا ينتظروا غائباً لأن كل
هذه الأعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الأمر فيسعوا في نقض ما أبرم
شأنهم مع رسول الله في أول أمره . ولما فرغ الانصار من حجهم توجهوا الى
موعدهم كائين أمرهم عمن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل
الأول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثاً وسبعين رجلاً منهم
اثنتان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان وهما نسيبة بنت
كعب من بني النجار وأسما بنت عمرو من بني سلمة ووافقهم رسول الله هناك وليس
معه إلا عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن
أخيه ليكون متوثقاً فلما اجتمعوا عرفهم العباس بأن ابن أخيه لم يزل في منعة من
قومه حيث لم يمكنوا منه أحد أمن أظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم
الشدة ثم قال لهم ان كنتم ترون انكم وافون له بما ادعوا تموه اليه وما نعوذ من خالفه
فأنتم وما تحملتم من ذلك ولا فدعوه بين عشيرته فانهم لمكان عظيم فقال كبيرهم
والمتكلم عنهم البراء بن معرور والله لو كان لنا في أنفسنا خير ما ننطق به لقلنا له ولكننا

نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما احببت فقال اشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن التيهان يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهدا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهر لك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسهم عليه السلام وقال بل الدم الدم والدم الهدم الهدم أى ان طالبتهم بدم طالبت به وان أهدرتموه أهدرته

وحينئذ ابتدأت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على ما طلب وأول من بايع أسعد بن زرارة وقيل البراء بن معرور ثم تخير منهم اثني عشر نقيبا لكل عشيرة منهم واحد تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وهم أبو الهيثم بن التيهان . واسعد ابن زرارة . وأسيد بن حضير . والبراء بن معرور ورافع بن مالك وسعد بن أبي خيثمة وسعد بن الربيع وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحه وعبد الله بن عمرو وعباد بن الصامت والمناذر بن عمرو ثم قال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي ولا مراما أراد الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي قريش فجاءوا ودخلوا شعب الانصار وقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من ارضنا وتبايعونه على حربنا فاذكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم أنهم لم يحصل منهم شيء في ليلتهم وعبد الله بن أبي كبير الخزرج يقول ما كان قومي ليفتاوا على شيء من ذلك

(هجرة المسلمين الى المدينة)

ولما رجع الانصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام أكثر من المرة الاولى أما رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فازداد عليهم أذى المشركين لما سمعوا أنه حالف قومًا عليهم فامر عليه السلام جميع المسلمين بالهجرة إلى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش أن تمنعهم وأول من خرج أبو سلمة المخزومي زوج أم سلمة ومعه زوجته وكان قومها منعوها منه ولكنهم أطلقوها بعد فحقت به وتابع المهاجرون فرارًا بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى صاروا لا يعيئون بمفارقة أوطانهم والابتعاد عن آبائهم وأبنائهم مادام في ذلك رضى الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم إلا أبو بكر وعلي وصهيب وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالهم من الهجرة وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعدادًا لذلك

(دار الندوة)

أما قريش فكانوا كانوا أصيبوا بمس الشيطان حينما طرق مسامعهم مبايعة الانصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤساؤهم وقادتهم في دار الندوة وهي دار قصي ابن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمرًا الا فيها يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه فقال قائل منهم نخرجه من أرضنا كي نستريح منه فرفض هذا الرأي لأنهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونها من حلاوة منطقته وعذوبة لفظه وقال آخر نوثقه ونحبسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأي كسابقه لأنهم قالوا

ان الخبر لا يلبث أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخل في دينه حيث يفضلونه على الآباء والأبناء فإذا سمعوا ذلك جاؤا للتخليصه وربما جر هذا من الحرب علينا ما نحن في غنى عنه وقال لهم طائفتهم بل نقتله ولنمنع بني أبيه من الاخذ بشاره نأخذ من كل قبيلة شاباً جليداً يجتمعون أمام داره فإذا خرج ضربوه ضرباً رجل واحد فيفترق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كما هم بل يرضون بالدية فأقروا هذا الرأي . هذا مكرهم ولو كان الله فوق كل ارادة (ويعكرون ويعكر الله والله خير الماكرين) فأعلم نبيه بما دبره الأعداء في سرهم وأمره باللاحاق بدار هجرته بدار فيها ينشر الاسلام ويكون فيها الرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا من الحكمة بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقتل المبغضون إن قريشاً أرادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص منهم وأوعزوا اليه أن يدعى هذه الدعوى حتي تكون وسيلة لنيل ما ربههم ولاكنهم كانوا له أعداء ألداء آذوه شديد الاذي حتي اختار الله له مفارقة بلادهم والبد عنهم

(هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم)

فتوجه من ساعته الى صديقه أبي بكر وأعلمه أن الله قد أذن له في الهجرة فأسأله أبو بكر الصعبة فقال نعم ثم عرض عليه احدى راحتيه اللتين كانتا معدتين لذلك فجهزاهما أحت الجهاز وصنعت لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب واستأجرا عبد الله بن أريقط من بني الدليل ابن بكر وكان هادياً ماهراً وهو على دين كفار قريش ذأمناه ودفعنا اليه راحتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليه السلام أبا بكر وواعداه

المقابلة ليلا خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقروا عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه عليا بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك في وجوده أثناء الليل فانهم كانوا يرددون للنظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجد عليا بركته وخرج علي القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فالقي الله النوم عليهم حتى لم يره أحد ولم يزل عليه السلام سائرا حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختلفا فيه . أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وأنهم انما باتوا يحرسون علي بن أبي طالب لا محمد بن عبد الله هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد أو يدل عليه وقد وصلوا في طلبهم الى ذلك الغار الذي فيه طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا بكر فقال له عليه السلام (لا تحزن إن الله معنا) فأعني الله أبصار المشركين حتى لم يحل أحد منهم التفاته الى ذلك الغار بل صار أعدى الأعداء أمية بن خلف يبعدهم اختفاء المطلوبين في مثل هذا الغار فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب وكان يبيت عندهم عبد الله بن أبي بكر وهو شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا واداه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ويندوبها عليهما فاذا خرج من عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر : ولما انقطع الطلب خرجا بعدان جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلاث وسارا متبعين طريق الساحل : وفي الطريق لحقهم طالباسرافة بن

مالك المدلجى وكان قد رأى رسل مشركى قريش يعملون فى رسول الله وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما هو فى مجلس من مجالس قومه بنى مدلج اذا قبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس فقال يا سراقه انى رأيت آتفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه فعرف سراقه أنهم هم ولكنه أراد أن يثنى عزم مخبره عن طلبهم فقال انك رأيت فلانا وفلاناً انطلقوا باعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبث فى المجلس ساعة وقام وركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول ومن معه فعثرت به فرسه فخر عنها ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قائمتا فرس سراقه فى الأرض حتى بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكذب تخرج يديها حتى سطع لآثرهما غبار ساطع فى السماء مثل الدخان فعلم سراقه أن عمله ضائع سدى ودخله رعب عظيم فاداهما بالآمان فوقف عليه السلام ومن معه حتى جاءهم ويقول سراقه وقع فى نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرهم بما يريد بهم الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذوا منه شيئاً بل قالوا له أخف عنا فساله سراقه أن يكتب له كتاباً من فأمر أبا بكر فكتب وبذلك انقضت هذه المشكلة التى أظهر الله فيها مزيده عن رسله وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله وقدومه عليهم يخرجون الى الحرة (١) حتى يردهم حر الظهيرة فانقباوا يوماً بعد أن أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أو فى رجل من يهود على أطم (٢) من أطامهم لا يمر ينظر اليه فبصر برسول

(١) هي الأرض ذات الحجارة السود وكانت للمدينة محاطة بجملة حرات

(٢) تل

الله واصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة ويخفيهم أخرى فقال اليهودى بأعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم أى حظكم الذى تنتظرون فثاروا الى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة

(النزول بقباء)

فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقباء والذى حقيقة المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان فى اليوم الثانى من ربيع الاول الذى يوافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ وهذا أول تاريخ جديد (١) لظهور الاسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركى قريش ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادته أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلا يتخطفهم الناس

(هجرة الانبياء)

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة اخوانه من الانبياء من قبله فما من نبي منهم الا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها من ابراهيم أبى الانبياء و خليل الله الى عيسى كلمة الله وروحه كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائهم فصبروا ليكونوا مثالا لمن يأتي بعدهم من متبعيهم فى الثبات والصبر على المكروه مادام ذلك فى طاعة الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل (يعقوب) وبنيه أنهم هاجروا اليها حينما رأوا من بنينا ترحيبا بهم وتركهم وما يعبدون إلا كراما ليوسف وحكمته ولما مضت سنون نسي فيها المصريون تديير (١) لما أراد المسلمون فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدءاً من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين مبدء الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا مبدء الهجرة شهرين وایاماً وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها

يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بني اسرائيل وآذوهم خرج بهم موسى وهارون
ليتمكنوا من اعطاء الله حقه في عبادته وهرب المسيح عليه السلام من اليهود حينما
كذبوه فأرادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه لتلاميذه (طوبى للطرودين
من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهللوا لأن
أجركم عظيم في السموات لأنهم طردوا الانبياء الذين قبلكم) وسل القرى
التي حلت بها نقمة الله لكفر أهلها كديار لوط وعاد وثمود تنبذك عن مهاجرة
الانبياء منها قبل حلول النقمة فلا ذرابة أن هاجر عليه السلام من بلاد منعه أهلها من
تتميم ما أراد الله (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

﴿ أعمال مكة ﴾

هذا ولنبين لك مجمل ما دعا اليه الرسول عليه السلام بمكة من أصول الدين
وذلك امران (الأول) الاعتقاد بوحداية الله وأن لا يشرك معه في العبادة غيره
سواء كان ذلك الغير صنما كما يفعل مشركو امكة أو آباء أو زوجة أو بنتا كما عليه
بعض الطوائف الاخرى كالنصاري ولولا الاعتقاد بوحداية الله ما كلف أحد
نفسه تكاليف الحياة من آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمر به نفسه من شهواتها
وملذاتها مادام ذلك خافيا عن الناس (الثاني) الاعتقاد بالبعث والنشور وأن
هناك يوما ثانياً للإنسان يجازى فيه على ما صنعه في الدنيا ان خيراً فخير وان
شراً فشر وعلى هذين الامرين جاء غالب الآي المكية فقلنا نرى سورة من سور
مكة إلا مشحونة بالاستدلال عليهم ما تويسخ من تركها وكل ذلك باساليب تأخذ
بالعقل وبراعمين لا تحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بالاطائل تحتها ما يضيع
الوقت سدغى ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من القرآن معظمه

وهو ماعدا ثلاثاً وعشرين سورة منه وهي البقرة : آل عمران : النساء : المائدة
 : الانفال : التوبة : الحج : النور : الاحزاب : القتال : الفتح : الحجرات :
 الحديد : المجادلة : الحشر : الممتحنة : الصف : الجمعة : المنافقون : التغابن :
 الطلاق : التحريم : النصر : هذه كلها مدنية وباقي القرآن مكي

ولما نزل عليه السلام ببقاء نزل على شيخ بنى عمر وكاثوم بن الهدم وكان يجلس
 للناس ويتحدث لهم في بيت سعد بن خيشمة لانه كان عزباً ونزل أبو بكر بالسج
 (محلة بالمدينة) على خارجه بن زيد من بنى الحارث من الخزرج

(مسجد قباء)

وأقام رسول الله بقاء ليا إلى أسس فيها مسجد قباء الذي وصفه الله بأنه مسجد
 أسس على التقوى من أول يوم وصلى فيه عليه السلام عن معه من الانصار
 والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد على عهد رسول الله في غاية من
 البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناء المساجد في القرون الاخيرة لان الرسول
 وأصحابه لم يكن جل همهم الا منصرف التزين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان
 فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة و فوقه مظلة يتي بها حر الشمس

(الوصول الى المدينة)

(ثم) تحول عليه السلام الى المدينة والانصار يحيطون به متقلدي سيوفهم
 وهنا حدث ولا حرج عن سرور أهل المدينة فكان يوم تحوله اليهم يوماً سعيداً
 لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول الله وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع
وكان الناس يسرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام
ناقته كل يريد أن يكون نزيله

(أول جمعة)

وأدر كسته عليه السلام صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فنزل وصلاتها
وهذه أول جمعة له عليه السلام وأول خطبة خطبها عليه السلام حمد الله وأثنى
عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لا تفسحوا تعلمن والله ليصمقن أحدكم ثم
ليسد عن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه
دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك
فلم ينظرن عينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدما فلا يرى غير جهنم فمن
استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة
فانهما تجزي الحسنة عشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته

(النزول على أبي أيوب)

ثم ساروا وكلما مروا على دار من دور الانصار يتضرع اليه أهلها بأن
ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم تزل
سائرة حتى أتت بفناء بني عدي بن النجار وهم أخواله الذين تزوج منهم
هاشم جده فبركت بجملة من محلاتهم أمام دار أبي أيوب الانصاري واسمه
خالد بن زيد (١) وذلك محل مسجده الشريف فقال عليه السلام ههنا المنزل

(١) توفي زمن معاوية في حصار القسطنطينية ودفن هناك خارج المدينة

ان شاء الله (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) فاحتمل أبو أيوب
رحله ووضع في منزله وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده
وخرجت ولا تدبني النجاريقلان

نحن جوار من بني النجار يا حبيذا محمد من جار
فقال عليه السلام أتجبنني فقال نعم فقال الله يعلم أن قايي يحبكن واختار
عليه السلام النزول في الدور الاسفل من دار أبي أيوب ليكون أريح لرائيه
ولكن لم يرض رضى الله عنه ذلك كرامة لرسول الله لما يمكن أن يصيبه من
التراب الذي يحدته وطء الاقدام أو الماء الذي يهراق فقد اتفق أن كسرت
من زوجته جرة ماء بالليل فقام هو وهى بقطيفتهما التي ليس لهما غيرها
يمسحان الماء خوفاً على رسول الله ولذلك لم يزل أبو أيوب يستعطفه حتى
كان في العلو وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سراة الانصار كسعد بن عبادة
وأسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت فسا من ليلة إلا وعلى بابيه الثلاث أو الاربع
من جفان الثريد

(نزول المهاجرين)

ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار فكموا
القرعة بينهم فما نزل مهاجرى على أنصارى الا بقرعة

(أخوة الاسلام)

ومن يتأمل الى هذه المحبة التي يستحيل أن تكون بتأثير بشر بل بفضل
من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين
وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدد

وكان الانصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم قال تعالى في سورة الحشر (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وهذا أعلى درجات الاخوة وكل ذلك كانوا يرونه قليلا بالنسبة لما وجب عليهم لآخوانهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمكن بينهم الاخاء آخى بين المهاجرين والانصار فكان كل أنصارى ونزله أخوين في الله ومن العيب أن نكلف القلم أن يوضح للقارىء أن هذه الاخوة كانت أرقى بكثير من الاخوة العصبية بل نكل ذلك للاحساس الاسلامي فانه أفصح منطقاً من القلم وعلى الاجمال فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً في أجسام متفرقة وعسى الله أن يوفق مسلمي عصرنا الى هذا الاخاء حتى يسودوا كما ساد المتحدون وكان هذا الاخاء على المواساة والحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الارحام وكان عليه السلام يقول لكل اثنين (تأخيا في الله أخوين أخوين) ودام هذا الميراث الى أن أنزل الله سبحانه قوله في سورة الاحزاب (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)

(هجرة أهل البيت)

ولما استقر عليه السلام بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله وأرسل معهما عبد الله بن أريقط يدلهما على الطريق فقدمتا بفاطمة وأم كلثوم بنتيه عليه السلام وسودة زوجة وأم أيمن زوج زيد وابنها أسامة أما زينب فمعهما زوجها أبو العاص بن الربيع وخرج مع الجميع

عبدالله بن أبى بكر بأمر رومان زوج أبيه وعائشة أخته وأسماء زوج الزبير
ابن العوام وكانت حاملا بابنها عبدالله وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة
(حى المدينة)

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقا للمهاجرين من أهل مكة
فأصاب كثيرا منهم الحمى وكان رسول الله يعودهم فلما شكوا إليه الأمر
قال اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت الينامكة وأشد وبارك لنا في مدها وفي صاها
وانقل وباءها إلى الجحفة (١) فاستجاب الله جل وعلا دعوته وعاش المهاجرون
في المدينة بسلام

(منع المستضعفين من الهجرة)

ومنع مشركو مكة بعضا من المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم منهم
الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص فكان عليه السلام يدعوهم
في صلاته وهذا أصل القنوت وقد حصل في أوقات مختلفة ومحال في الصلاة
مختلفة فكان في وتر العشاء وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله فروى كل صحابي
ماراه وهذا سبب اختلاف الأئمة في مكان القنوت

(السنة الأولى - بناء المسجد)

ثم شرع عليه السلام في بناء مسجده في مبرك ناقته أمام محلة بنى النجار وكان
محله مربدا للتمر يملكه غلامان يتيان في حجر أسعد بن زرارة فدعا الغلامين
وساومهما المربد ليتخذ مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى عليه السلام أن
يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفرو نخل فأمر

(١) قرية على اثنين وثمانين ميلا من مكة وهى ميقات أهل الشام

بالقبور فتبشت وبالحفر فسويت وبالنخل فقطع ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذوا شرعوا
 في البناء به وجعلوا أعضاد في الباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمد من
 جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا قليلا وقد عمل فيه رسول الله بنفسه
 ليرغب المسلمين في العمل وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم. اللهم لا خير الاخير
 الآخرة. فارحم الانصار والمهاجرة. وجعلت قبلة المسجد في شماله الى بيت
 المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ثم حصبت أرضه لان المطر كان قد أثر فيه فامر
 عليه السلام بحصبه ولم يزين المسجد بفرش حتى ولا بالحصر وبني بجانبه حجرتان
 احدهما السوداء بن زمعة والاخرى لعائشة ولم يكن عليه السلام متزوجا غيرهما
 اذذاك وكانت الحجرتان متجاورتين وملاصقتين للمسجد على شكل بناءه وصارت
 الحجرات تبني كلما جاءت زوج

(بدء الأذان)

أوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائما متذكرين عظمة العلي الاعلى
 فيتبعون أوامرهم ويحذرون نواهيه ولذلك قال في محكم كتابه في سورة العنكبوت
 (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وجعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذاكر
 المسلمون بعضهم بعضا في شؤونهم واحتياجاتهم ويقووا روابط اللفة والاتحاد
 بينهم ومتى حان وقت الصلاة فلا بد من عمل ينبه الغافل ويذكر الناسي حتى
 يكون الاجتماع عاما فأمر النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك
 فقال بعضهم نرفع راية اذا حان وقت الصلاة ليراه الناس فلم يرتضوا ذلك لانها
 لا تفيد النائم ولا الغافل وقال الآخرون نشعل نارا على مرتفع من الهضاب فلم
 يقبل أيضا وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم فكرهه

رسول الله لأنه لم يكن يحب تقليد اليهود في عمل ما وأشار بعضهم بالنافوس وهو ما يستعمله النصراني فكرهه الرسول أيضا وأشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس ذاحات الصلاة وينادي بها فقبل هذا الرأي وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد الانصاري فبينما هو بين النائم واليقظان إذ عرض له شخص وقال ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله أكبر الله أكبر مرتين وتشهد مرتين ثم قل حي على الصلاة مرتين ثم حي على الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لا إله الا الله فلما استيقظ توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر رؤياه فقال انها الرؤيا حق ثم قال له لقن ذلك بلالا فانه أندى صوتا منك وبينما بلال يؤذن اذ جاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد رأيت مثله يا رسول الله وكان بلال أحد مؤذنيه بالمدينة والآخر عبد الله بن أم مكتوم وكان بلال يقول في أذان الصبح بعد حي على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين واقرأ الرسول على ذلك وكان عليه السلام يأمر في فجر رمضان باذنين أولهما يوقظ به الغافلون حتى ينتبهوا للسجود والثاني للصلاة . أما الاذان للجمعة فكان أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد نداء آخر على الزوراء رواه البخاري ولما تولى هشام بن عبد الملك أخذ الاذان الذي زاده عثمان بالزوراء وجعله على المنابر ثم نقل الاذان الذي كان على المنابر حين صعود الامام على المنبر في العهد الاول بين يديه

فعلم بذلك أن الاذان في المسجد بين يدي الخطيب بدعة أحدثها هشام بن عبد الملك ولا معنى لهذا الاذان لانه هو نداء الى الصلاة ومن هو في المسجد لا معنى للندائه ومن هو خارج المسجد لا يسم النداء اذا كان النداء في المسجد كذا ذلك

الشيخ محمد بن الحاج في المدخل
قال الحافظ في فتح الباري . وأما ما أحدث الناس قبل الجمعة من الدعاء
اليها بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهو في بعض البلاد دون بعض
واتباع السلف الصالح أولى اه
فعلم من ذلك كله أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذان الجمعة أنه
كان إذا جلس على المنبر أذن مؤذنه على المنابر فإذا انتهت الخطبة أقيمت الصلاة
وماء ذلك فكله ابتداع

أما الإقامة وهي الدعوة للصلاة في المسجد فقد اختلفت الروايات في
نصها فرواها محمد بن ادريس الشافعي مفردة إلا لفظ قد قامت الصلاة فمثنى
ورواها مالك بن انس مفردة كما رواها أبو حنيفة النعمان مثنى كلها
(يهود المدينة)

(هذا) وكما ابتلى الله المسلمين في مكة بمشركي قريش ابتلاهم في المدينة
بيهودها وهم بنو قينقاع وقريظة والنضير فانهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً
من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق وكانوا قبل مجيئ الرسول يستفتحون
على المشركين من العرب إذا شبت الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب
زمانه فلما جاءهم ما عرفوا استعظم رؤسائهم أن تكون النبوة في ولد اسماعيل
فكفروا بما أنزل الله بنفيهم عنهم يرون أن رسول الله محمد لم يأت إلا مصداقاً لما
بين يديهم من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين مبدئاً ما أفسده التأويل
منها ولا كنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ومما عابوه على الإسلام نسخ
الأحكام وما دروا أن القادر العليم يعلم ما يحتاجه إلا أناساً أكثر منهم فانه مبال

بطبعه للترقى والرسول عليه السلام وجد بادي بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا على شيء من الاعتقادات الإلهية فكانت الحكمة داعية لأن يكون التشريع لهم على التدرج لأنه لو حرم الله عليهم شرب الخمر وأكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا إلى آخر الأمر والمناهي التي جاء بها الشرع الإسلامي لما أجابها أحد من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة أهواؤهم الذين كانوا منغمسين في كثير من الأضاليل فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر شيئا فشيئا حتى روضت عقولهم وهذبت نفوسهم وكانت الأحكام لا ينزلها الله عليه إلا عقب الحوادث التي تقتضيها ليكون التأثير في النفوس أشد ولكن اليهود أرادوا غل يد القدرة عن أن تفعل إلا ما يشتهون وقد حججهم القرآن الشريف بما يدل على أنهم يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق فقال في سورة البقرة (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) ثم حتم جل ذكره عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من أنفسهم أنهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق الأمين ولم ينقل لنا عن أحد منهم أنه تمنى ذلك ولو نطقا باللسان وقد تبين الهدي لأحد رؤساء بني قينقاع وهو عبد الله بن سلام فترك هواه وأسلم بعد أن سمع القرآن وبعد أن كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من سفهائهم حينما بلغهم لإسلامه فبشما اشتروا لا أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله نبيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ولما استحكمت في قلوبهم عداوة الإسلام صاروا يجهدون أنفسهم في إطفاء نوره (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).

(المنافقون)

وكان يساءلهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة أعمى الله بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفا على حياتهم وكان يرأس هذه الجماعة عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي الذي كان مرشحا لرياسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لأن أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين الأعداء من اليهود وغيرهم كما حصل ذلك مرارا والاساس الذي كان عليه رسول الله أن يقبل ما ظهر ويترك لله ما بطن ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم في عمل ما فكثيرا ما كان يتغيب عن المدينة ويولى عليها بعض الانصار ولكن لم يعهد أنه ولى رجلا ممن عهد عليه النفاق لأنه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو لولوا عملا فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم أنهم لا يثقون في الاعمال المهمة الا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهر ما يخالف ما في القواد

(معاهدة اليهود)

هذا وقد علمت أنه كان يضاد المسلمين في المدينة فقتل اليهود والمنافقون ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم وعقد مع أولئك عهدا مقتضاه ترك الحرب والاذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحدا وان دهمه بالمدينة عدو ينصرونه وأقرهم على دينهم

(مشروعية القتال)

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يقاتل أحدا على الدخول في الدين

بل كان الامر قاصرا على التبشير والانذار وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآي ما يقويه على الصبر أمام ما كان يلاقيه من أذى قريش ومن ذلك قوله في سورة الاحقاف (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستمجل لهم) وكان كثيرا ما يقص الله عليه أنباء اخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ولما ازداد ظميان أهل مكة ألجؤوه الى الخروج من داره بعد أن ائتمروا على قتله فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله في سورة الحج (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) ثم أمرهم بذلك في قوله في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) وبذلك لم يكن الرسول يتعرض الا لقريش دون سائر العرب فلما تأملا على المسلمين ذير أهل مكة من مشركي العرب واتحدوا عليهم مع الاعداء أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله في سورة التوبة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وبذلك صار الجهاد عاما لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا مصداق قوله عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بجنتها وحسابهم على الله) ولما وجد المسلمون

من اليهود خيانة للعهد حيث ساءدوا المشركين في حروبهم امر الله بقتالهم بقوله في سورة الانفال (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) وقتالهم واجب حتي يدينوا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ليأمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول الله للاعداء على هذه المبادئ الآتية (١) اعتبار مشركي قريش محاربين لانهم بدأوا بالعدوان فصار للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتي يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وفتية بين الطرفين (٢) متى رؤي من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتي يؤمن جانبهم بالنفي أو القتل

(٣) متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساءدت قريشا قوتلت حتي تدين بالاسلام

(٤) كل من بدأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل حتي يذعن بالاسلام أو يعطي الجزية عن يد وهو صائر

(٥) كل من أسلم فقد صم دمه وماله الابحقة والاسلام يقطع ما قبله وقد أنزل الله في القرآن الكريم كثيرا من الآسى تحريضا على الاقدام في قتال الاعداء وتبعيدا عن الفرار من الزحف فقال في الموضوع الاول في سورة النساء (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وقال في الموضوع الثاني في سورة الانفال (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير)

(بدء القتال)

كانت عادة قريش أن تذهب بتجارها إلى الشام لتبيع وتبتاع ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيرا وكان يسير معها لحر استنها كثير من أشرف القوم وسرانهم ولا بد لوصولهم إلى الشام من المرور على دار الهجرة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصادر تجارتهم ذاهبة وآتية ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتى تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك أدعي لخذلانهم في ميدان القتال الذي لا بد أن يكون لأن قريش لم تكن لتسكت عن سفه أعلامهم وعبادتهم خصوصا وهم قدوة العرب في الدين

﴿ سرية (١) ﴾

ففي شهر رمضان أرسل عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلا من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حملة أبو مرثد حليف حمزة ليعترض عيرا لقريش آتية من الشام فيها أبو جهل وثلاثمائة من أصحابه المشركين فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص (٢) فصادف العير هناك فلما تصافوا لقتال حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجديا على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم

وفي شوال أرسل عبيدة ابن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين راكبا من المهاجرين وعقد له لواء أبيض حملة مسطح بن أثاثة ليعترض عيرا لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير بطن رابع (٣) فكان بينهم الرمي بالنبل ثم خاف المشركون

(١) السرية قطعة من الجيش وتريد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول الله والى كان فيها تسمى زغوة (٢) عرض من أراض المدينة أي ناحية منها (٣) واد بين الحرمين قرب البحر

أن يكون للمسلمين كمين فأنهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين إلى المسلمين
المقداد بن الأسود وعتبة بن غزوان وكانا قد أسلما وخرجا ليلاحقا بالمسلمين

(وفيات)

وفي هذه السنة توفي من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع أسلم قديما وهاجر الهجرتين ولما دفن أمر عليه
السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجرا وقال أنعلم به قبر أخي وأدفن
إليه من مات من أهلي وهذا كان القصد من وضع الحجر على المقابر لا ما يقصده
أهل العصور الأخيرة من تشييد الهياكل على القبور وتصويرها بصور ترى في
عين الناظر كالأصنام ليأتي أقارب الميت ويصنعوا عندها احتفالات كثيرا
تشبه ما كان يفعله مشركو مكة عند معابدهم ومن العيب فعل شيء لم يفعله رسول
الله مما يتعلق بأمور الآخرة

ومات من الانصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثنى عشر كان رضي الله
عنه نقيب بني النجار ولما مات اختار رسول الله نفسه للنقابة عليهم لان ابن
أخت القوم منهم ومات أيضا البراء بن معرور أحد النقباء وهو الذي كان
يتكلم عن القوم في العقبة الثانية ومات من مشركي مكة في هذه السنة الوليد
ابن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبوجهل ماجزئك ياعم فقال والله ما بي
من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة فقال أبو سفيان
لا تخف اني ضامن ان لا يظهر وفيها أيضا مات العاصي بن وائل السهمي وقد
كفى الله المسلمين شر هذين الشقيين

(السنة الثانية غزوة ودان)

ولاثنتي عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد أن استخلف عليها سعد بن عباد ليعترض عيراً لقريش فسار حتى بلغ ودان (١) وكان يحمل لواءه عمه حمزة ولم يلق هناك حرباً بالان العير كانت قد سبقته وفي هذه الغزوة صالح بن ضمرة على أنهم آمنون على أنفسهم ولهم النصر على من رامهم وإن عليهم نصرة المسلمين إذا دعوا ثم رجع إلى المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة

(غزوة بواط)

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه أن عيراً لقريش آتية من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخسمائة بعير فسار إليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الأول وكان يحمل لواءه سعد بن أبي وقاص فسار حتى بلغ بواط (٢) فوجد العير قد فاتته فرجع ولم يلق كيذا وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الحذر على أنفسهم والاجتهاد في تعمية أخبارهم عن أهل المدينة

(غزوة العشيرة)

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش بأعظم عير لها فقد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعداً إلا بعث به في تلك العير وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلاً

(١) قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الأبواء ستة أميال

(٢) جبال جهينة على أبراد من المدينة جهة ينبع

فخرج لها الرسول في جمادي الاولى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين واستخلف على المدينة أباسلة بن عبد الاسد وحمل لواءه عمه حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة فوجد العير قد مضت وحالف عليه السلام في هذه الغزوة بنى مدلج وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام الى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع (غزوة بدر الاولى)

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهري وأغار على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول في طلبه واستخلف علي المدينة زيد ابن حارثة الانصاري وحمل لواءه علي بن أبي طالب فسار حتى بلغ سفوان (١) وفاته كرز فلم يلق حرباً وتسمى هذه الغزوة بدر الاولى

(سرية)

وفي رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال يرأسها عبد الله بن جحش وأعطاه كتاباً مختوماً لا يفضه إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فاذا فيه (اذا نظرت كتابي هذا فافاض حتى تنزل نخلة فتصد بواقر يشاوت لم لنا من أخبارهم) وانما لم يخبرهم عليه السلام بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوخ الخبر فيدل عليهم أحد الاعداء من المنافقين أو اليهود فترصد لهم قرش ولا يخفي أن عدد السرية قليل لا يمكنه المقاومة ثم سار عبد الله رضي الله عنه وفي أثناء السير تخلف سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان لانهما أضلأبعيرهما الذي كانا يعتبانه وسار الباقر حتى وصلوا النخلة فمرت بهم ديرة قرشية تريد مكة فيهما عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل

والحكم بن كيسان فأجمع المسلمون أمرهم على أن يحملوا عليهم ويأخذوا أممهم
فحملوا عليهم في آخر يوم من رجب فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسر واعثمان
والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم
قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع
أنهم قاتلوا في الأشهر الحرم وعاتبهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقل لهم
عليه السلام ما أمرتكم بقتال في الأشهر الحرم فندموا فأنزل الله في سورة البقرة
(يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به
والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) فسرى عنهم
وقد طلب المشركين فداء أسيريهما فقال عليه السلام حتى يرجع سعد وعتبة فلما رجعا
قبل عليه السلام الفدية في الأسيرين فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه
مع المسلمين وأمعنان فلحق بمكة كافرا

﴿تحويل القبلة﴾

مكث عليه السلام بالمدينة ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس في
صلاته وكان يجب أن تكون قبلته الكعبة ويقلب وجهه في السماء داعياً
الله بذلك فيدنا هو في صلاته إذ أوحى الله إليه بتحويل القبلة إلى الكعبة
فتحول وتحول من وراءه وكانت هذه الحادثة سبباً لافتتان بمض المسلمين الذين
ضنفت قلوبهم فارتدوا على أعقابهم وقد أكره اليهود من التنديد على الإسلام
بهذا التحويل وما دروا أن الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
﴿صوم رمضان﴾

وفي شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على الأمة

الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر والصيام من دأبهم هذا الدين والفرائض التي بها يتم النظام فإن الانسان مجبول على حب نفسه والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزرعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن ادراك حاجاتهم ولا أقوي من ذوق قوارص الجوع والعطش اذ بهما تلين نفسه ويتهدب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات

(صدقة الفطر)

ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة

(زكاة المال)

وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال وهذه هي النظام الوحيد الذي به يأكل الفقراء والمساكين من اخوانهم الاغنياء بلا ضرر على هؤلاء فاذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين وحال عليها الحول وجب عليك أن تؤدى ربع عشرها أى اثنين ونصف فى كل مائة وما زاد فبحسابه واذا بلغت الشياه أربعين والبقر ثلاثين والابل خمساً وحال عليها الحول وجب عليك كذلك أن تؤدى منها جزءاً مخصوصاً حدده الشارع ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقه من الفقراء والمساكين وبقية المذكورين فى آية الصدقة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) والليدب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لاول نظرة أن

هذا النظام مع عدم اضراره بالاغنياء مقلل لمصائب الفقر التي ألحّت كثير من
فقراء الامم أن يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعي
الامن كما يفعله الاشتراكيون وغيرهم

(غزوة بدر الكبرى)

لم يطل العهد بتلك المير العظيمة التي خرج لها عليه السلام وهي متوجهة
الى الشام فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها فلما سمع برجوعها ندب اليها أصحابه
وقال هذه دير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكم وهافاً جاب قوم و قتل
آخرون لانهم أن الرسول عليه السلام لم يرد حرباً فانه لم يحتفل بها بل قال من
كان ظهره حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائباً فخرج لثلاث
ليال خلون من رمضان بعد أن ولى على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم
وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً مائتان ونيّف وأربعون من الانصار
والباقون من المهاجرين ومعهم فرسان وسبعون بعيراً يمتقبونها والحامل
للواء مصعب بن عمير العبدري : ولما علم ابو سفيان بخروج الرسول صلى الله عليه
وسلم استأجر راكباً ليأتي قريشاً ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك أدركتهم
حميتهم وخافوا على تجارتهم فنفروا سراة ولم يتخلف من أشراّنهم الا أبو لهب
ابن عبدالمطلب فانه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة وأراد أمية بن خلف
أن يتخلف لحديث حدثه اياه سعد بن معاذ حينما كان معترفاً بعد الهجرة بقليل
حيث قال كما رواه البخاري سمعت من رسول الله يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال
لا أدري ففرغ لذلك وحلف أن لا يخرج فعابه أبو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصداً
الرجوع بعد قليل ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان منيته ساقته الى حتفه رغم

أنفه وكذلك عزم جماعة من الاشراف على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا
اجتمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والذلول أمامهم
القينات يغنين بهجاء المسلمين (وزين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس ولإني جار لكم) وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلاً يعترف به
ذو الرأي من بعدهم فقال في سورة الحشر (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما
كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله
في هذه الواقعة (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني
بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) وكان
عدة من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً معهم مائة فرس
وسبعمائة بعير (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله
المشركون ولم يكن خروجه إلا للبعير فمسكر ببئوت السقيما خارج المدينة
واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم أرسل اثنين يتجسسان
الاخبار عن البعير ولما بلغ الزوحاء (١) جاءه الخبر بمسير قريش لمنع بعيرهم وجاءه
مخبراه بأن البعير ستصل بدرأعدا أو بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش
وقال لهم (أيها الناس إن الله قد وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم العير أو
النفير) فبين له عليه السلام أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهى البعير
ليستعينوا بما فيهم من الاموال فقد قالوا هلا ذكرت لنا القتال فنستمد وجاء
مصدق ذلك قوله تعالى في سورة الانفال (واذا يعدكم الله إحدى الطائفتين
أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) ثم قام المقداد بن الاسود

رضي الله عنه فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فوالله لا تقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون والله لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فذعأ له بخير ثم قال عليه السلام أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الانصار لأن بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا تجب عليهم نصرته إلا مادام بين أظهرهم فإن فيها يا رسول الله إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إليها فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كانك تريد يا رسول الله فقال أجل فقال سعد قد آمننا بك وصدقناك وأعطيناك عهدنا فامض لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال كما في رواية البخاري (أبشروا والله لكانى أنظر إلى مصارع القوم) فلم القوم من هذه الجملة أن الحرب لا بد حاصلة وحقيقة حصلت فإن أباسفيا لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وسار متبعا ساحل البحر فنجأ وأرسل إلى قريش يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل لا ترجع حتى نخضر بدرا (١) فقيم فيه ثلاثا نحر الجزر ونظم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا

(١) محل بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب في الجنوب الغربي منها على الطريق السلطاني وكان به سوق تعقد كل سنة ثمانية أيام

يزالون بها بوننا أبدا فقال الاخنس بن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفاً لهم ارجعوا يا قوم فقد نجى الله أوالكم فرجعوا ولم يشهد بدر ازهري ولا عدوى ثم سار الجيش حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عدوته القصوى (١) عن المدينة في أرض سهلة لينئة أما جيش المسلمين فإنه لما قارب بدرا أرسل عليه السلام علي بن ابي طالب والزبير بن العوام ليعرفا الاخبار فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبني الحجاج و غلام لبني العاص السهميين فأتيا بهما والرسول عليه السلام قائم يصلي ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء فضرباها لانهما ظنا أن الغلامين لابي سفيان فقال الغلامان نحن لابي سفيان فتركاها ولما أتم الرسول عليه السلام صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالاه وراء هذا الكثيب فقال لهما كم هم فقالا لا ندرى قال كم يتحرون كل يوم قالا يوماً تسماً ويوماً عشرين قال القوم ما بين التسعمائة والالف ثم سألهما عن النفير من أشراف قريش فذكر له عددا عظيماً فقال عليه السلام لاصحابه هذه مكة قد ألفت اليكم أفلا ذكبتها (٢) ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادي الدنيا من المدينة بعيدا عن الماء في أرض سبخة فأصبح المسلمون عطاشا بعضهم جنب وبعضهم محدث فحدثهم الشيطان بوسوسته ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثببت عزائمهم فإنه قال لهم ما ينتظار المشركون منكم إلا أن يقطع العطش

(١) عداوة الوادي شاطئه

(٢) قطع كبدها

رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا
 فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادى فشربوا واتخذوا الحياض على عدوة
 الوادى واغتسلوا وتوضؤوا وملؤا الاسقية ولبدت الارض حتى ثبتت عليها
 الاقدام على حين أن كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض
 حتى لم يعودا يقدرون على الارتحال ومصداق هذا قوله تعالى في سورة الانفال
 (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنهم رجز الشيطان وليربط
 على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقد ارى الله رسوله في منامه الاعداء كما اراهموه
 وقت اللقاء قليلا يفتل المسلمون وليقضي الله أمرا كان مفعولا
 قال تعالى في سورة الانفال (إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا
 لفشلتم ولتنزعتم في الامر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور) إذ يريكهم
 اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللهم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والي
 الله ترجع الامور) ثم سار جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء من بدر فقال له
 الحباب بن المنذر الانصارى وكان مشهورا بجودة الرأى يارسول الله أهذا
 منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأى والحرب والمكيدة
 فقال بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال يارسول الله ليس لك هذا بمنزل
 فأنهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فاني أعرف غزارة مائه وكثرته
 فنزله ونغور ما عنده من الآبار ثم بنى عليه حوضا فنملؤه ماء فشرب
 ولا يشربون فقال الرسول عليه السلام لقد أشرت بالرأى ونهض حتى أتى
 أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغورت لينقطع أمل
 المشركين في الشرب من وراء المسلمين وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه

ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس يا بني الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه
ونعد عندك ركائبك ثم تلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وظهرنا على عدونا
كان ذلك ما أحيينا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلهجت بمن
وراءنا فقد تخلف عنك اقوام يا بني الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولا أطوع لك
منهم لهم رغبة في الجهاد ونية ولوظنوا أنك تلقي حربا ما تخلفوا عنك انما ظنوا أنها
المير بمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك ، فقال عليه السلام أويقضي الله
خيرا من ذلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب ولما
اجتمعوا عدل عليه السلام صفوفهم مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان
مرصوص ثم نظر لقريش فتمال (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها
تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به) وفي هذا الوقت
وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس
من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن
جحش ويحمل ما أصيب من غيره ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أباجهل الخبر
وسمه بالجنب وقال والله لا ترجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقبل أن تقوم
الحرب غلي ساقها خرج من صفوف المشركين الاسود بن عبد الاسد المخزومي
وقال أأعاهد الله لا شرب من حوضهم أولا هذمنه أولا موتن دونه فخرج اليه
حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره
فزحف على الحوض حتي اقتحم فيه ليبر قسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام
يحرض الناس على الثبات والصبر وكان فيما قال (وان الصبر في مواطن البأس مما

يفرج الله به الهم وينجي به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف
المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد فطلبوا أكفاهم
فخرج إليهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد أكفاهنا
من بني غنمنا فأخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب للاول
ومحزة بن عبد المطلب للثاني وعلى بن أبي طالب للثالث فأما محزة وعلى فقتلا
صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل
رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحا سييل
مخ ساقه وأضجموه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله
قدمه الشريفة فوضع خده عليها وبشره عليه السلام بالشهادة فقال وددت
والله أن أباطالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نضرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدلها
بقضيب في يده فمر بسواد بن غزيرة حليف بني النجار وهو خارج من
الصف فضربه بالقضيب في بطنه وقال استقم ياسواد فقال أوجعتني يا رسول
الله وقد بعثت بالحق والعدل فأقذني من نفسك فكشف الرسول عليه
السلام عن بطنه وقال استقم ياسواد فاعتنقه سواد وقبل بطنه فقال عليه السلام
ما حملك على ذلك فقال يا رسول الله قد حضر ماتري فأردت أن يكون آخر
العهد أن يمس جلدي جلديك ، فدعاه ليجير ثم ابتدأ عليه السلام يوصي الجيش
فقال (لا تحملوا حتى آمركم وان اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا
السيوف حتى يغشوكم) ثم حضهم على الصبر والثبات ثم رجع إلى عريشه

ومعه رفيقه أبو بكر وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه وكان من دعاء الرسول عليه السلام ذاك الوقت كما جاء في صحيح البخاري (اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد) فقال أبو بكر حسبك فان الله سينجز لك وعدك فخرج عيه السلام من العريش وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ثم قال عليه السلام يحرض الجيش (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا لا يرجو الأمد الله الجنة ومن قتل قتيلا فله سلبه) فقال عمير بن الحمام ويده تمرات يأكلها يخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل واشتد القتال وحمل الوطيس وأيد الله المسلمين بالمدة ثكة بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم فلم تكن إلا سادة حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين منهم من قرش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة قتلوا مبارزة أول القتال وأبو البختري بن هشام والجراح والد أبي عبيدة قتله ابنه بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل أمية بن خلف وابنه على اشتراك في قتلها جماعة من الانصار مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر وقد سعيوا في ذلك لما كان يفعل بهما أمية في مكة ومن القتل حنظلة بن أبي سفيان وأبو جهل بن هشام أئخنه فتيان صغيران من الانصار لما كانا يسعمانه من أنه كان شديدا لا يذأ لرسول الله وأجهز عليه عبد الله بن مسعود وقتل نوفل بن خويلد قتله على بن أبي طالب وقتل عبيدة والعاصي ولد أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وقتل كثيرون غيرهم أما الاسرى فكانوا سبعين أيضا قتل منهم عليه السلام وهو

راجع عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين وكانت هذه الواقعة في ١٧ رمضان وهو اليوم الذي ابتداء فيه نزول القرآن وبين التاريخين ١٤ سنة قمرية كاملة

وقد أمر عليه السلام بالقتل فقتلوا من مضارعهم التي كان الرسول عليه السلام أخبر بها قبل حصول الواقعة إلى قليب بدر لانه عليه السلام كان من سنه في مغازيه اذ امر بهافد فنت لا يسأل عنه مؤمنا أو كافرا ولما ألقى عتبة والد أبي حذيفة أحد السابقين إلى الاسلام تغير وجه ابنه فقطن الرسول عليه السلام لذلك فقال لعلك دخلك من شأن أهلك شيء فقال لا والله ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت ما مات عليه حزني ذلك فدعا له الرسول عليه السلام بخير ثم أمر عليه السلام براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذي رمي فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسر كم أنكم كنتم أطعمتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ويقول عائشة رضي الله عنها انما قال انهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت لك لا تسمع الموتى وما أنت بسمع من في القبور، تقول يعلمون ذلك حينما تبوؤا مقاعدهم من النار (رواه البخاري) ثم أرسل عليه السلام المبشرين فأرسل عبد الله بن أبي رباحة لاهل العالية (١) وأرسل زيد بن حارثة لاهل السافلة راكبا على ناقه رسول الله وكان المنافقون

والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين عادة
الاعداء في اذاعة الضراء يقصدون بذلك فتنة المسلمين فجاء أولئك المبشرون
بمأساة أهل المدينة وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج
عثمان ثم قفل رسول الله واجعا وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم
فالشبان يقولون باشرنا القتال فهي لنا خالصة والشيوخ يقولون كناردها لكم
فنشارككم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو الى الضعف ويزرع في القلوب العداوة
والبغضاء المؤديين الى تشتت الشمل أنزل الله حسما لهذا الخلاف أول سورة الانفال
(يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأطيعوا ذات بينكم
وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فسطع على أفئدتهم نور القرآن فتألفت بعد
أن كادت تفرق وتركوأمر الغنائم لرسول الله يرضها كيف شاء كما حكم القرآن
فقسمها عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس وأدخل في
الاسهام بعض من لم يحضر لا مركاف به وهم أبو لبابة الانصاري لانه كان مخلصا على
أهل المدينة والحارث بن حاطب لان الرسول عليه السلام خلفه على بنى عمرو بن
عوف ليحقق أمرا بلغه والحارث بن الصمة وخوات بن جبير لانها كسرا
بالروحاء فلم يتمكننا من الصبر وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لانهما أرسلتا
يتجسسان الاخبار فلم يرجعا الا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لان الرسول
عليه السلام خلفه على ابنته رقية يرضها وعاصم بن عدي لانه خلفه على أهل
قباء والعالية وكذلك أسهم لمن قتل بيدروهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث
ابن عبد المطلب بن هاشم الذي جرح في المبارزة الاولى فانه رضي الله عنه مات
عند رجوع المسلمين من بدر ودفن بالصفراء ولما قارب عليه السلام المدينة تلقته

الولائد بالدفوف يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
(أسرى بدر)

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالأسرى فقال
عمر بن الخطاب يا رسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فأري أن تمكنني
من فلان لقريب له فأضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس وعلياً من أخيه
حقييل وهكذا حتى يعلم الناس أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ما أرى أن تكون
لك أسرى فأضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ووافقه على ذلك
سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة وقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء أهلكت قومك
قد أعطاك الله الظنم والنصر عليهم أري أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون
ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً
فقال عليه السلام إن الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللبن وإن الله
ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك بأب بكر مثل
إبراهيم قال (فمن اتبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) وإن مثلك يا عمر
مثل نوح قال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) ورأى عليه السلام
رأى أبي بكر بعد أن مدح كلا من الصاحبين لأن الوجهة واحدة وهي
اعزاز الدين وخذلان المشركين ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عائلة فلا يفلتن أحد
من أسراكم إلا بفسد أو قد بلغ قریشا ما عزم عليه الرسول في أمر الأسرى

فناحت على القتلى شهراً ثم أشير عليهم من كبارهم أن لا يفعلوا كيلا يبلغ محمدًا وأصحابه جزءهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا على أن لا يبيكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثأرهم وتواصوا فيما بينهم أن لا يعجلوا في طلب الفداء لئلا يتغالي المسلمون فيه

(الفداء)

فلم يلتفت الى ذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي وكان أبوه من الاسرى فخرج خفية حتي أتى المدينة وفدي أباه بأربعة آلاف درهم وعند ذلك بعثت قريش في فداء أسراها وكان أربعة آلاف الى الف درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه (ومن) الاسرى عمرو بن أبي سفيان ولما طلب من أبيه فداؤه أبي وقال والله لا يجمع محمد بين ابني ومالي دعوه يمسكوه في أيديهم ما بداهم فيينا أبو سفيان بمكة إذ وجد سعد بن النعمان الانصاري معتمرا فعدا عليه فحبسه بانه عمرو فمضي قوم سعد الى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمراً ففكوا به سعداً (ومن) الاسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول وكان عليه السلام قد أثني عليه خيراً في مصاهرته فانه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله بمكة طلبوا من أبي العاص أن يطلق زينب كما فعل ابن أبي لهب بابنتي الرسول فامتنع وقال والله لا أفارق صاحبتى وما أحب أن ألى بها امرأة من قريش ولما أسرارسلت زينب في فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لأصحابه ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا فرضى الاصحاب

بذلك فأطلقه عليه السلام بشرط أن يترك زينب تهاجر الى المدينة فلما وصل الى مكة أمرها باللاحاق بأبيها وكان الرسول أرسل لها من يأتي بها فاحتملوها (هذا) ولما أسلم أبو العاص بن الربيع قبيل الفتح رد عليه امرأته بالنكاح الاول (ومن) الاسرى سهيل بن عمرو وكان من خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب دعني يا رسول الله أنزع ثنيتي سهيل يدلع (١) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً فقال عليه السلام (لا أمثل فيمثل الله بي وان كنت نبياً وعسي أن يقوم مقاماً لا تدمه) وقدم بفدائه مكرز بن حفص ولما ارتضى معهم على مقدار جنس نفسه بدله حتى جاء بالنداء . هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل فانه لما مات عليه السلام أراد أهل مكة الارتداد كما فعل غيرهم من الاعراب فقام سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فاز الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ثم قال والله اني أعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها فلا يغرنكم هذا (يريد أبا سفيان) من أنفسكم فانه لعلم من هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بني هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقو دينه وقد جمع الله على خيركم (يريد أبا بكر) وان

ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم (ومن) الاسرى الوليد بن الوليد افتكه أخواه خالد وهشام فلما افتسدى ورجع الى مكة أسلم فقبل له هلا أسلمت قبل الفداء فقال خفت أن يعدوا إسلامي خوفاً ولما أراد الهجرة منعه أخواه فقرر الى النبي في عمرة القضاء (ومن) الاسرى السائب بن يزيد وكان صاحب الراية في تلك الحرب فدى نفسه وهو الجد الخامس للإمام محمد بن ادريس الشافعي (ومنهم) وهب بن عمير الجمحي كان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش كثير الايذاء لرسول الله جلس يوماً بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب بدر فقال عمير والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال اخشي عليهم الفقر بعدى كنت آتي محمداً فأقتله فان ابني أسير في أيديهم فقال له صفوان دينك علي وعيالك مع عيالي فأخذ عمير سيفه وشحذه وسمه وانطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر مع نفر من المسلمين اذ نظر الى عمير متوشحاً سيفه فقال هذا الكلب عدو الله ما جاء الا بشر ثم قال للنبي عليه السلام هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه فقال دخله علي فأخذ عمر بجمائل سيفه وأدخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه يا عمر إذن يا عمير فذنا وقال انعموا صباحاً فقال عليه السلام قد أبدلنا الله نحية خيراً من نحيبك وهى السلام ثم قال ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبضها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً فقال عليه السلام اصدقني ما الذي جئت

له قال ماجئت إلا لذلك قال عليه السلام كلابل قعدت أنت وصفوان في الحجر
وقلما كيت وكيت فأسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتى به من خبر
السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان
فقال عليه السلام فقهوا أخاكم في دينه واقروه القرآن وأطلقوا أسيره
فعاد عمير إلى مكة وأظهر إسلامه (ومن) الأسرى أبو عيز بن عمير أخو
مصعب بن عمير مر به أخوه فقال للذي أسره شديدك به فإن أمه ذات متاع
لعلها تقديه منك فقال له يا أخي هذه وصايتك بي ثم بعثت أمه بفدائه أربعة
آلاف درهم (ومن) الأسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان قد خرج لهذه الحرب مكرها ولما وقع في الأسر طلب
منه فداء نفسه وابن أخيه عتيل بن أبى طالب فقال سلام ندفع وقد استكرهنا
على الخروج فقال عليه السلام لقد كنت في الظاهر دلينا فأخذت منه فدية
نفسه وابن أخيه ثم قال للرسول لقد تركتني فقير قريش مابقيت قال كيف
وقد تركت لأم الفضل أموالا وقلت لها إن مت فقد تركتك غنية فقال العباس
والله ما طالع على ذلك أحد . وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل والمساواة
فانه عليه السلام لم يعرف عمه مع علمه بأنه إنما خرج مكرها وقد أنفى ذيره جماعة
تحقق له فقرهم فهكذا العدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)
(ومن) الأسرى أبو عزة الجمحي الشاعر كان شديد الایذاء لرسول الله
بمكة فلما أسر قال يا محمد انى فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرفتها فامنن ، فمن
عليه فضلامنه

﴿ العتاب في الفداء ﴾

ولما تم الفداء أنزل الله في شأنه (ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى
يشخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) نهى سبحانه عن
اتخاذ الأسرى قبل الاثخان في قتل الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون دين
الله من الانتشار وعاب بعض المسلمين على إرادة عرض الدنيا وهو الفدية ولولا
حكم سابق من الله أن لا يعاقب مجتهدا على اجتهداده مادام المقصد خيرا لكان
العذاب ثم أباح لهم الاكل من تلك الفدية المبني أخذها على النظر الصحيح
وهذا من أقوى الأدلة على صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به لانه لو كان من عنده ما
كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأى كثير من الصحابة وقد وعد الله الأسرى
الذين يعلم في قلوبهم خيرا بأن يؤتيهم خيرا مما أخذ منهم وينفّر لهم فقال (يا أيها النبي
قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم
وينفّر لكم والله غفور رحيم) وهذه الغزوة هي التي أعز الله بها الاسلام وقوى
أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهي آية ظاهرة
على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة بسوابغ
الحديد والعدة الكاملة والخليل المسومة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممتنا
على عباده بهذا النصر (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أى قليل عددكم
لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله فهي أعظم نزوات الاسلام اذ بها كان ظهوره
وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره فقد قتل فيها من صناديد قریش من كانوا
الاعداء الالء للاسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الآخرين فكانت

للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم أن شكرنا العلي
الاعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر وهو السابع عشر من رمضان
عيداً نتذكر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين
﴿غزوة قينقاع﴾

هذا وإذا كان للشخص عدوان فانتصر على أحدهما حرك ذلك
شجوا الآخر وهاج قواده فتبدوا بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه وهذا
ما حصل من يهود بني قينقاع عند تمام الظفر في بدر فأنهم نبذوا ما عاهدوا المسلمين
عليه وأظهروا مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم وانتهكوا حرمة سيدة
من نساء الانصار وهذا مما يدعو المسلمين للتحرز منهم وعدم ائتمانهم في المستقبل
إذا شبت الحرب في المدينة بين المسلمين وغيرهم فأنزل الله في سورة الانفال
(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ (١) اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين)
فدعا عليه السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد فقالوا يا محمد
لا يغرنك ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ولولم يلقينا لعلنا انانحن الناس
وكانوا أشجع يهود فأنزل الله في سورة آل عمران (قل للذين كفروا استغلبون
وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فتنتين التقتافئة تقاتل في
سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء
إن في ذلك لبرة لاولى الابصار) وعند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت
أحد رؤساء الخزرج وتشبت بالحلف عبد الله بن أبي وقيل أنى رجل أخشى

(١) أى فاطرح لهم العهد على طريق مستو قصد بان تظهر لهم نبذ اليهود
ولا تناجزهم الحرب اوهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة ولذا قال (ان الله
لا يحب الخائنين)

الدوائر فأنزل الله تعلما للمسلمين في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وعند ما تظاهر يهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام في نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة وخلف على المدينة أباالبابة الانصاري فحاصره خمس عشرة ليلة.

﴿جلاء قينقاع﴾

ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب سألوا رسول الله أن يخل سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال فقبل ذلك عليه السلام ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت وأمهاتهم ثلاث ليال فذهبوا الى أذرعات (١) ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطى سهم ذوى القربى لبني هاشم ولبنى المطلب دون بني أخويهما عبد شمس ونوفل ولما سئل عن ذلك قال إنما بنو هاشم وبنو المطلب شي واحد في الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه

﴿غزوة السويق﴾

كان أبو سفيان متهيجا لانه لم يشاهد بدرآ التي قتل فيها ابنه وذوو قريبه فحلف أن لا يمس رأسه الماء حتى يغزو محمدا وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بني النضير ليهيجم

ويستعين بهم على حرب المسلمين فأتى سيدهم جيسي بن أخطب فلم يرض بمقابلته فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع به ثم خرج من عنده وأرسل رجالا من قريش الى المدينة فحرقوا في بعض نخلها ووجدوا أنصاريا فقتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج في أثرهم في مائتين من أصحابه لحس خاؤون من ذى الحجة بعد أن ولي على المدينة بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلقهم لانهم هربوا وجعلوا يخفون ما يحملونه ليكنوا اقدر على الاسراع فألقوا امامهم من جرب السويق فأخذهم المسلمون ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق

(صلاة العيد)

وفي هذا العام سن الله للعالم الاسلامي سنة عظيمة بها يتمكن أبناء البلد الواحد من المسلمين ان يجددوا عهود الاخاء ويقووا عروة الدين الوثقى وهي الاجتماع في يومى عيد الفطر وعيد الاضحى وكان عليه السلام يجمع المسلمين في صعيد واحد ويصلى بهم ركعتين تضرعا الى الله أن لا يفصم عرونتهم وأن ينصرهم على عدوهم ثم يخطبهم حاضا لهم على الائتلاف ومذكرا لهم ما يجب عليهم لا نفسهم ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضا وبعد ذلك يخرجون لاداء الصدقات للفقراء والمساكين حتى يكون السرور عاما لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الاضحى تضحيته نسأله تعالى أن يؤلف بين قلوبنا ويوفقنا لأعمال سلفنا

(زواج علي بفاطمة عليهما السلام)

وفي هذه السنة تزوج علي بن أبي طالب وعمره احدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة وكان منها عقب رسول الله بنو الحسن

والحسين وزينب (وفيها) دخل عليه السلام بمائشة بنت أبي بكر وسنها ذلك تسع سنوات

(السنة الثالثة)

يا لله يقضي على الشقي بالشقاوة حتى لا يسمم ولا يبصر فيتخذ الغدر رداء والخيانة شعاراً فلا ينجح معه إلا اراحة العالم من شره هذا كعب بن الاشرف اليهودي عظيم بنى النصير أعمته مداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء وصار يجرس قريشاً على حرب رسول الله ويهجو بالشر ويجهد في اثاره الشحاء بين المسلمين فكلما جبر عليه السلام كسر اهاضه هذا الشقي بما ينفضه من سموم لسانه (قتل كعب بن الاشرف)

ولما انتصر المسلمون ببدر ورأى الاسرى مقرنين في الحبال خرج الي قريش يبكي قتلاهم ويحرضهم على حرب المسلمين فقال عليه السلام من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصاري الاوسي انجب ان اقتله قال نعم قال انالك به وأذن لي أن أقول شيئاً تمكن به فأذن له ثم خرج ومعه أربعة من قومه حتى أتى كعباً فقال له ان هذا الرجل (يريد رسول الله) قد سألنا صدقة وانه قد عنا واني قد أتيتك أستسلفك قال وأيضاً والله لتملن قال انا قد اتبعناه فلانجب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين قال نعم ولكن ارهنوني قالوا أي شيء تريد قال ارهنوني نساء كم قالوا كيف زهنتك نساءنا وأنت أجل العرب قال فارهنوني أبناء كم قالوا كيف زهنتك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن زهنتك اللائمة يعني السلاح

فرضي فواعده ليلا أن يأتيه فيجاءه ليلا ومعه أبو نائلة أخو كعب من الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر وكلهم أوسيون فناده محمد بن مسلمة فأراد أن ينزل فقالت له امرأته أين تخرج الساعة وانك أمرؤ تحارب فقال إنما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة لليل لا يجاب ثم قال محمد لمن معه إذا جاءني فاني آخذ بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فأضربوه فنزل إليهم كعب متوشحا سيفه وهو ينفخ منه ريح المسك فقال محمد ما رأيت كاليوم ريحا أطيب أأذن لي أن أشم رأسك قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا وأراح الله المسلمين من شر أعماله التي كان يقصد ما بهم ثم أتوا النبي فأخبروه وكان قتل هذا الشقي في ربيع الأول من هذا العام وكان عليه السلام إذا رأي من رئيس غدرا ومقاصد سوء ومحبة لا ثارة الحرب أرسل له من يريحه من شره وقد فعل كذلك مع أبي علفك اليهودي وكان مثل كعب في الشر

﴿ غزوة غطفان ﴾

بلغ رسول الله أن بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فأراد عليه السلام أن يغل أيديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج إليهم من المدينة في أربع مائة وخمسين رجلا لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول وخلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا إلى رؤوس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذا أمر فمسكروا به وحدث أنه عليه السلام ترع ثوبه يحففه من

مطر بلله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فأبصره دعثور فأقبل اليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك مني يا محمد فقال الله فأدركت الرجل هبية ورعب أسقطا السيف من يده فتناول عليه السلام وقال لدعثور من يمنعك مني قال لا أحد فعفا عنه فأسلم الرجل ودعا قومه للإسلام وحول الله قلبه من عداوة رسول الله وجمع الناس لحربه الى محبته وجمع الناس له (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وهذا ما ينتج حسن المعاملة والبعد عن الفظاظاة وغلظ القلب (فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر)

﴿ غزوة بحران ﴾

بلغه عليه السلام أن جمعاً من بنى سليم يرون الغارة على المدينة فسار اليهم في ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى وخلف على المدينة ابن أم مكتوم ولما وصل الى بحران (١) تفرقوا ولم يلق كيدا فرجع (سرية)

لما تيقنت قریش أن طريق الشام من جهة المدينة أغلق في وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لان بها حياتهم أرسلوا عيراً الى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قریش منهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب ابن عبد العزى فجاءت أخبارهم لرسول الله فأرسل لهم زيد بن حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادى الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فأخذت العير وما فيها وهرب

(١) موضع بناحية القرع وهذا موضع من اضخم اعراض المدينة

الرجال وقد خمس الرسول عليه السلام هذه حينما وصلت له

(غزوة أحد)

لما أصاب قريشا ما أصابها بيدرو أغلقت في وجوههم طرق التجارة
اجتمع من بقي من أشرفهم إلى أبي سفيان رئيس تلك العير التي جلبت
عليهم المصائب وكانت موقوفة بدار الندوة ولم تكن سلمت لأصحابها بعد
فقالوا ان محمدا قدوترنا وقتل خيارنا وانا راضين ان نترك ربح أموالنا فيها
استعداد الحرب محمدا وأصحابه وقد رضى بذلك كل من له فيها نصيب وكان
ربحها نحو ألف من خمسين ألف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع من قريش
ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش وهم حلفاؤهم من بني المصطلق وبني الهون
ابن خزيمة ومعهم أبو عامر الراهب الاوسى وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم جماعات من
أعراب كنانة وتهامنة وقال صفوان بن أمية لا يبي عزة الشاعر الذي لا ينسي القارىء
أن الرسول من عليه بيدرو وأطلقه من غير فداء: انك رجل شاعر فأعنا بلسانك فقال
أني عاهدت محمدا أن لا أعين عليه وأخاف ان وقعت في يده مرة ثانية أن لا
انجو فلم يزل به صفوان حتى أطاعه وذهب يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا
جبير بن مطعم غلاما حبشيأله اسمه وحشى وكان راميا قلميأخطيء فقال له اخرج
مع الناس فان أنت قتلت حمزة بعني طعيمة فأنت حر ثم خرج الجيش ومعهم
القيان والدفوف والمعازف والخمور واضطجبت الاشراف منهم نساءهم كيلا
ينهبوا ولم يزلوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة. أما
رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به اليه عمه

العباس بن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين في هذه الحرب محتجاً بما أصابه يوم بدر ولما وصلت الأخبار باقتراب المشركين جمع عليه السلام أصحابه وأخبرهم الخبر وقال إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن هم أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فكان مع رأيهم شيوخ المهاجرين والانصار ورأي ذلك أيضاً عبد الله بن أبي اما الاحداث وخصوصاً من لم يشهد بدر منهم فأشاروا عليه بالخروج وكان مع رأيهم حمزة بن عبد المطلب وما زال هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لأنهم الاكثرون عدداً والاقويون جلدافصلى الجمعة بالناس في يومها لعشر خلون من شوال وحضهم في خطبتها على الثبات والصبر وقال لهم (لكن النصر ما صبرتم) ثم دخل حجرته ولبس عدته فظاهر بين درعين (١) وتقلد السيف وألقى الترس وراء ظهره ولما رأى ذؤوالرأى من الانصار أن الاحداث استكرهوا الرسول على الخروج لا موهم وقالوا زدوا الامر لرسول الله فما أمر ائتمروا فلما خرج عليه السلام قالوا يا رسول الله تتبع رأيك فقال ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم عقد الالوية فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الأوس لاسيد بن الحضير وخرج من المدينة بألف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها ف قيل هؤلاء حلفاء عبد الله ابن أبي من اليهود فقال انا لانستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم لانه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى في الخيانة ثم استعرض الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع بن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز رافعاً لما قيل له انه رام فبكى

(١) أى لبس درعاً فوق درعها ذات الفضول وفضة التي أصابها من قينقاع

سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله رافعاً وردني مع أني أصرعه فبلغ رسول الله الخبر فأمرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فأجازته ثم بات عليه السلام محله ليلة السبت واستعمل على حرس الجيش محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخاص ذكوان بن قيس وفي السحر سار الجيش حتى إذا كان بالشوط وهو بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبي ثعلبة من أصحابه وقال عصاني وأطاع الولدان فعلم نقتل أنفسنا فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم وبنبيكم (قالوا لو نعلم قتالا لا تبغناكم) فقال له أبعادكم الله فسيني الله عنكم نبيه. ولما فعل ذلك عبد الله بن أبي همت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة من الاوس فعصمهم الله وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمنخذلين فقوم يقولون نقاتلهم وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله في سورة النساء (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً) ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد (١) وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادي من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد وعليه الميسرة عكرمة بن أبي جهل وعليه المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزبير بن العوام بازاء خالد وجعل آخريه أمام الباقيين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلاً يرأسهم عبد الله بن جبير الانصاري فوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل وقال ولا تبرحوا ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ثم عدل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال ألقى في

قلبي الروح الامين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصي رزقها لا ينقص منه شيء وان أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجمعوا في طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كدلو أس من الجسد اذا اشتكى تداعى له سائر جسده ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم حمل اللواء طلحة بن أبي طلحة فقتله على فحمل اللواء أخوه عثمان فقتله حمزة فحملة أخ لهما اسمه أبو سعيد فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم قضى عليه فتناوب اللواء بعد أربعة من أولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم يقتلون وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن أبي بكر يطلب البراز فأراد أبوه أن يبرز له فقال له عليه السلام متعنا بنفسك يا أبا بكر ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي كلها ينضحهم المسلمون بالنبل فيمتقهرون ولما التقت الصفوف وحيت الحرب ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار تهيبجا لواء اطاف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول (اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل) وفي هذه المعركة قتل حمزة بن عبد المطلب رسول الله سيد الشهداء خافله وحشى وهو يجول في الصفوف وضربه بحربة لم تخطفه ثمايا بطنه

هذا ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنو منه ولوا الادبار ونسأوهم يبكين ويولولون وتبعهم المسلمون يجمعون الفنائم والاسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل قالوا مالنا في الوقوف من حاجة ونسوا أمر السيد الحكيم صلى الله عليه وسلم فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون أمارئيسهم فثبت وثبت معه قليل منهم فلما رأى خالد

ابن الوليد أحد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش
فقتل من ثبت من الرماة وأتى المسمين من ورائهم وهم يشتغلون بدنياهم
فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا
من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت إحدى نساء المشركين
اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن قمئة قتل مصعب
ابن عمير صاحب اللواء وأشاع أن محمداً قد قتل فدخل الفشل في المسلمين حتى
قال بعضهم علام نقاتل إذا كان محمد قد قتل فارجموا إلى قومكم يؤمنوكم وقال
جماعة إذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم وكان من نتيجة هذا النشل
أن انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن عقبة وخارجة بن زيدور فاعة
ابن المعلى وعثمان بن عفان وتوجهوا إلى المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها
فرجموا بعد ثلاث وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبوا
طلحة الانصارى استمر بين يديه يمنع عنه بحجفته وكان رامياً شديداً الرمي
فنثر كنانته بين يدي رسول الله وصار يقول وجهي لوجهك فداء وكل من كان يمر
ومعه كنانة يقول له عليه السلام اترها لا بي طلحة وكان ينظر إلى القوم ليرى ماذا
يفعلون فيقول له أبو طلحة يا بني الله بابي انت وأمي لا تنظر بصيبك سهم من سهام
القوم نحري دون نحرِكَ ومن ثبت سعد بن أبي وقاص فكان عليه السلام يقول له ارم
سعد فدك ابني وأمي ومنهم سهل بن حنيف وكان من مشاهير الرماة نضح عن
رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس (ومنهم) أبو دجانة سماك بن خرشة
الانصارى ترس على رسول الله فصار النبل يقع على ظهره وهو منحني حتى
كثف فيه (وكان) يقاتل عن الرسول زيادة بن الحارث حتى أصابت الجراح

مقاتله فأمر به فأدنى منه ووسده قدمه حتى مات وقد أصابه عليه السلام شدا ئد عظيمة تحملها بما أعطاه الله من الثبات فقد أقبل أبي بن خلف يريد قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه وقال خلوا طريقة فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله غيره لافي هذه الغزوة ولا في غيرها (وكان) أبو عامر الراهب قد حفر حفرا وغطاها ليقيم فيها المسلمون فوقع الرسول في حفرة منها فأغشى عليه وخذشت ركبته فأخذ على يده وزفعه طلحة بن عبيد الله وهما ممن ثبت حتى استوى قائما فرماه عتبة بن أبي وقاص بججر كسر رباعيته فتبعه حاطب بن أبي بلتعة فقتله وشيخ وجهه عليه السلام عبد الله بن شهاب الزهري وجرحه وجنبته بسبب دخول حلقتي المغفر فيهما من ضربة ضربه بها ابن قمئة فغضب الله عليه فجاء أبو عبيدة وعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنيتاه وقال حينئذ عليه السلام كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فأنزل الله في سورة آل عمران (ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) وكان أول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الأنصاري فنادى يامعشر المسلمين ابشروا فأشار اليه الرسول أن اصمت ثم سار بين سعد بن أبي وقاص وسعد بن عباد يريد الشعب ومعه جمع منهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة وأقبل عليه إذ ذاك عثمان ابن عبد الله بن المغيرة يقول أين محمد لآنجوت ان نجا فمتر به فرسه ووقع في حفرة فمشى اليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم وكان على يسكب الماء ثم أخذت قطعة من حصير فأحرقتهما

ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم ثم أراد عليه السلام أن يعلو الصخرة التي في الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى أصعده فنظر إلى جماعة من المشركين على ظهر الجبل فقال لا ينبغي لهم أن يعلو لنا اللهم لا قوة لنا الا بك ثم أرسل اليهم عمر بن الخطاب في جماعة فأنزلوهم (وقد) أصاب المسلمين الذين كانوا يحيطون رسول الله كثير من الجراحات لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً أن يصل للرسول فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وثلث يده وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة أما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقيون من الانصار (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار حنظلة بن أبي عامر وعمر بن الجموح وابنه خلاد بن عمرو وأخوه وزوجه والد جابر بن عبد الله فأتت زوج عمرو هند بنت حرام وحملتهم زوجها وانها وأخاها على بعير لتدفنهم بالمدينة فنهى عليه السلام عن الدفن خارج أحد فرجعوا (وقتل) سعد بن الربيع وأرسل عليه السلام من يأتيه بخبره فوجده بين القتلى وبه رمق فقيل له ان رسول الله يسأل عنك فقال لمبلغه قل لقومي يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول له ليلة العقبة فوالله ما لكم عندي عذر وقتل أنس بن النضر عم أنس بن مالك فانه لما سمع يقتل رسول الله قال يا قوم ما تصنعون بالبقاء بعده موتوا على ما مات عليه اخوانكم فلم يزل يقاتل حتى قتل رضي الله عنه ومثلت قريش يقتل أحد حتى ان هندا زوج أبي نفيان بقرت بطن حمزة وأخذت كبده لتأكلها فلا كستها ثم أرسلتها وفعلا اقرى بها من ذلك باخوانه الشهداء ثم ان أباسفيان صعد الجبل ونادى بأعلى صوته نعمت فعال ان الحرب

سجل يوم يوم بدر وموعدهم بد العام المقبل ثم قال انكم ستجدون في قتلاكم
 مثلة لم امر بها ولم تسؤني. ثم ان المشركين رجعوا الى مكة ولم يرجعوا الى المدينة
 وهذا مما يدل على أن المسلمين لم ينهزموا في ذلك اليوم والا لم يكن بد من تعقب
 المشركين لهم حتي يغيروا على مدينتهم ثم تفقد عليه السلام القتلى وحزن على عمه
 حمزة حزن ناشد اودفن الشهداء كلهم باحد كل شهيد بثوبه الذي قتل فيه وكان يدفن
 الرجلين والثلاثة في حدة واحد لما كان عليه المسلمون من التعب فكان يشق عليهم أن
 يحفروا الكل شهيد حفرة ولما جمع المسلمون الى المدينة سخر بهم اليهود
 والمنافقون وأظهروا ما في قلوبهم من البغضاء وقالوا لآخوانهم (لو كانوا
 عندنا ماتوا وما قتلوا)

وهذا الذي ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين
 تركهما المسلمون فاصيبوا أولهما طاعة الرسول في أمره فقد قال للمامة لا
 تبرحوا من مكانكم ان نحن نصرنا أو قهرنا فعضوا أمره ونزلوا الثاني أن
 تكون الاعمال كلها لله خير منظور فيها لهذه الدنيا التي كثيرا ما تكون سببا
 في مصائب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتي عوقبوا
 وفي ذلك أنزل الله في سورة آل عمران التي فصلت غزوة أحد (ولقد صدقكم
 الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتهم من بعد
 ما أراكم ماتحبون منهم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم
 عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فسبب هذا الابتلاء
 التنازع فينبغي الاتفاق : والفشل فينبغي الثبات : والعصيان فينبغي طاعة
 الرئيس نسأل الله التوفيق

(غزوة حمراء الاسد)

لما رجع عليه السلام الى المدينة أصبح حذراً من رجوع المشركين الى المدينة ليتمموا انتصارهم فنادى في أصحابه بالخروج خلف العدو وأن لا يخرج إلا من كان معه بالامس فاستجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح فضمدوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه على بن أبي طالب وولى على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الاسد (١) وقد كان ما ظنسه الرسول حقاً فان المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر فأصرروا على الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول في أثرهم ظنوا أنه قد حضر معه من لم يحضر بالامس وألقى الله الرعب في قلوبهم فتمادوا في سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم في حمراء الاسد بابي عزة الشاعر الذي من عليه بيدر بعد ان تعهد أن لا يكون على المسلمين فأمر به قتله فقال يا محمد أقتلني وامنن على ودغني لبناتي وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين اضرب عنقه يا زيد فضرب عنقه وفي هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف فان الرجل الذي لا يحترز مما أصيب منه ليس بمقاتل فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك

(حوادث)

وفي هذه السنة زوج عليه السلام بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان بعد أن ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين (وفيها) تزوج عليه السلام

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة في طريق مكة

حفصة بنت عمر بن الخطاب وأما أخت عثمان بن مظعون وكانت قبله
تحت خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه فتوفى عنها بجرأة أصابته
بيدر وفيها تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة الهلالية من بني هلال
ابن عامر كانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لرأفتها واحسانها اليهم وكانت
قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها بأحد وهي أخت ميمونة بنت الحارث
لامها وفيها ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما وفيها حرمت الخمر وكان
تحريمها بالتدريج لما كان عليه العرب في المحبة الشديدة لها فيصعب اذا انحرمهم دفعة
واحدة وكان ذلك التحريم تابعا لحوادث تنفر عنها لان المنكر اذا أسند تحريمه
لحادثة أقر الجميع على تقييدها كان ذلك أشد تأثيرا في النفس فأول ما بين فيها قوله
تعالى في سورة البقرة (يستلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع
للناس) فمنفعة الميسر التصديق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة
الخمر تقوية الجسم ولما شرها بعض المسلمين وخط في القراءة حرمت الصلاة
على السكران فقال تعالى في سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة
وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ولما حدث من شرها اعتداء بعض المسلمين
على اخوانهم حرمت قطعيا بقوله تعالى في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا إنما
الخمر والميسر والانصاب (١) والازلام (٢) رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون) إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقد

(١) هي حجارة تصب عليها دماء الذبح وتعبد (٢) هي القداح التي كانوا

يستقسمون بها وفي قرن الخمر والميسر بالانصاف والازلام نهاية التنفير ولذلك قال عليه
السلام ذارب الخمر كما بد الوثن

أجاب المسلمون على ذلك بقولهم انتهينا فليجب المسلمون الآن

﴿ السنة الرابعة ﴾

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله أن طليحة وسلة ابني خويلد الاسديين يدعوان قومهما بني أسد لجره عليه السلام فدعا أباسلة بن عبد الاسد المخزومي وعقده لواء وقال له سر حتي تنزل أرض بني أسد بن خزيمه فأغر عليهم وأرسل معه رجالا فسار في هلال المحرم حتي بلغ قطناً (١) فأذار عليهم فهربوا عن منازلهم ووجد أبوسلة لإبلا وشاء فأخذها ولم يلق حرباً ورجع بعد عشرة أيام من خروجه (وفي) بدئها أيضاً بلغه عليه السلام أن سفيان بن خالد بن بديح الهذلي المقيم بعرة (٢) يجمع الجوع لجره فأرسل له عبد الله بن أنيس الجهني وحده ليقته فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقول حتي يتمكن فأذن له وقال انتسب لخزاعة فخرج لحمس خلون من المحرم ولما وصل اليه قال له سفيان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعة لك محمد فجئت لا كون معك فقال له أجل اني لقي الجمع له فمشي عبد الله معه وحدثه وسفيان يستحلي حديثه فلما انتهى الى خبائه تفرق الناس عنه فجلس معه عبد الله حتي نام فقام وقتله ثم ارتحل حتي أتى المدينة ولم يلحقه الطلب وكفي الله المؤمنين القتال

﴿ سرية ﴾

وفي صفر أرسل عليه الصلاة والسلام عشرة رجال عيوناً على قريش مع رهط عضل والقارة الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون من يفقههم في الدين وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري فخرجوا يسرون الليل ويكمنون

(١) جبل لبني اسد بناحية فيد شرقي المدينة (٢) موضع قريب من عرفات

النهار حتى اذا كانوا بالجميع (١) غدر بهم أولئك الرهط ودلوا عليهم هذيلًا قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي كان قتله عبد الله بن أنيس فنفروا اليهم فيما يقرب من مائتي رام واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجؤا إلى جبل هناك فقال لهم الاعداء انزلوا ولستم العهد أن لا تقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقتلهم الباقون ومعههم عاصم غير راضين بالنزول في ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع احدهم فقتلوه وأما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له ثار عند المسلمين وهناك قتلوا وقد قال أحدهما وهو خبيب بن عدي حين أرادوا قتله

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

﴿سرية﴾

في صفرو فدخل رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة وهو من رؤس بني عامر فدعاه عليه السلام إلى الاسلام فلم يسلم ولم يبعده بل قال اني أرى أمرك هذا حسنا شريفا ولو لم يبعث معي رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوههم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه السلام اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار فأرسل معه المنذر بن عمرو في سبعين من أصحابه كانوا يسمون القراء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا بئر معونة (٢) فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب إلى عامر بن الطقييل سيد بني عامر

(١) ماء لبني هذيل بين مكة وعسفان

(٢) شرقي المدينة بين ارض بني عامر وجره بني سليم

فلما وصل اليه لم يلتفت الى الكتاب بل عدا على حرام قتله ثم استصرخ على بقية البعثة أصحابه من بني عامر فلم يرضوا أن يخفروا جوار ملاعب الاسنة فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم وهم رعل وذكوان وعصية فأجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقتلوهم حتى قتلوههم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعا لقلّة عددهم وكثرة عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى حتى ظن أنه منهم وعمر بن أمية كان في سرح القوم وأبلغ عليه السلام خبر القراء فخطب في أصحابه وكان فيما قال (ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا) وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع في يوم واحد فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وأقام يدعو على الغادين بهم شهرا في الصلاة

(غزوة بني النضير)

يا الله ما أسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة البال هادئة الخواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من روائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشقتهم من ديارهم وهذا ما حصل لليهود بني النضير حلفاء الخرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهد يأمن بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهد حسداً منهم وبغيا فينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض من أصحابه في ديار بني النضير اذا ائتمر جماعة منهم على قتله بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه السلام على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن مسلمة

يقول لهم اخرجوا من بلادى فقد هممت بما هممت من الغدر (اذ الحزم كل الحزم أن لا يتهاون الانسان مع من عرف منه الغدر) فتهيأ القوم للرحيل فأرسل لهم اخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم (لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخر واعن الجلاء فأمر عليه السلام بالتهيؤ لقتالهم فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وأعطى رايته علياً أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا انها مانعتهم من الله فحاصروهم عليه السلام ست ليال ثم أمر بقطع نخيلهم ليكون أدعى الى تسليمهم نقذف الله في قلوبهم الرعب ولم يروا من عبد الله بن أبي مسعدة بل خذلهم كما خذل بني قينقاع من قبلهم فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ما حملت الابل من أموالهم الا آلة الحرب ففعل وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ومنهم أكابرهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ومنهم من سار الى أذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وأبو سعيد بن وهب ولم يخمس رسول الله ما أخذ من بني النضير فانه فيء لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله ولذوى القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل كما قال تعالى في سورة الحشر (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) فأعطى عليه السلام من هذا الفياء فقراء

المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا لآخوانهم من الانصار
ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم وأخذ عليه السلام أرضا يزرعها ويدخر
منها قوت أهله عاماً

(غزوة ذات الرقاع)

وفي ربيع الآخر بلغه عليه السلام أن قبائل من نجد يتهيئون لحربه
وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج في سبعمائة مقاتل وولى على المدينة
عثمان بن عفان ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا فيها أحداً
غير نسوة فأخذهن فبلغ الخبر رجالهم فخافوا وتفرقوا في رؤوس الجبال ثم
اجتمع جمع منهم وجاءوا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضاً ولما
حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام أن يغدر بهم الأعداء وهم يصلون صلى
بالمسلمين صلاة الخوف فألقى الله الرعب في قلوب الأعداء وتفرقت جموعهم
خائفين منه صلى الله عليه وسلم

ومال الامام البخارى الى أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة وأجمع
أهل السير على خلافه

(غزوة بدر الآخرة)

لما أهل شعبان هذا العام كان موعد أبي سفيان فانه بعد انقضاء غزوة
أحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل فأجابه الرسول الى ذلك وكان بدر
محل سوق تعقد كل عام للتجارة في شعبان يقيم التجار فيه ثمانية فلما حل
الاجل وقريش مجدون لم يتمكن أبو سفيان من الايفاء بوعده فأراد أن يخذل
المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فاستأجر نعيم بن مسعود الاشجعي

فياي المدينة ويرجف بما جمعه أبوسفیان من الجموع العظيمة فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف اتكالا على ربه بل خرج بألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي ولهم يزالوا سائرین حتى أتوا بدرأفلم يجدوا بها احدا لان أباسفیان أشار علي قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين ظاناً أن إرجاف نعيم يهيد فيكون المخلف هم المسلمون فسار حتى أتى مجنة وهي سوق معروفة من ناحية مر الظهران فقال لقومه ان هذا عام جذب ولا يصلحنا إلا عام عشب فارجعوا أما المسلمون فأقاموا ببدر لا يشاركهم في تجارته أحد (فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لابي سفیان قد والله نهيتك أن تعد القوم قد اجترؤا علينا ورأوا انا أخلفناهم « حوادث »

وفي هذا العام ولد الحسين بن علي وفيه توفيت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين وفيه توفي أبو سلمة رضي الله عنه ابن عمه رسول الله وأخوه من الرضاعة وأول من هاجر الي الحبشة وفيه تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً زوج أبي سلمة بعد وفاته

« السنة الخامسة غزوة دومة الجندل » (١)

(١) مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين طيبة خمس عشرة ليلة

في ربيع الاول من هذا العام بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من
الاعراب بدومة الجندل يظلمون من مربيهم وأنهم يريدون الدنو من
المدينة فتجهز لغزوتهم وخرج في ألف من أصحابه بعد أن ولى على المدينة سباع
ابن عرفة الغفاري ولم يزل يسير الليل ويكنم النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر
تفرقوا فهجم المسلمون على ما شيتهم ودرعائهم فاصيب من أصيب وهرب من
هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحد اوبث السرايا فلم تجد منهم أحد افرجع عليه
السلام غاماً وصالح وهو عائذ عينة بن حصن الغزاري وهو الذي كان يسميه عليه
السلام الاحق المطاع لانه كان يتبعه ألف قناة وأقطع عليه السلام أرضاً يرعي فيها
بهمه على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة لان أرضه كانت قد أجذبت

(غزوة بنى المصطلق)

في شعبان بلغه عليه السلام أن الحارث بن ضاراسيد بنى المصطلق الذين
ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين في أحد يجمع الجعول لحربه فخرج له عليه السلام
في جمع كثير وولى على المدينة زيد بن حارثة وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة
وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط في غزوة قبلها يرجون أن يصيبوا
من عرض الدنيا وفي أثناء مسيره عليه السلام التقى بعن بنى المصطلق فسأله
عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله . ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجيء
المسلمين لحربه وانهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتى
تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع (١) تصاف الفريقان
للقتل بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقتلوا فقاموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون

عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا الرجل من عدوهم مجالا للهرب بل قتلوا عشرة
منهم وأسر وابقىهم مع النساء والذرية واستاقوا الابل والشاء وكانت الابل
ألفي بعير والشاء خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولا هاشم قران وعلى
الاسرى بريدة وكان في نساء المشركين بريدة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ
من قومها مثنى بيت أسرى وزعت على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهى
الكرم فان بنى المصطلق من أعز العرب دارا فأسر نساءهم بهذه الحال صعب جداً
فأراد عليه السلام أن يجعل المسلمين يمتنون على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم
فتزوج بريدة بنت الحارث التي سماها جويرية فقال المسلمون أصهار رسول الله لا
ينبغي أسرهم في أيدينا فمنوا عليهم بالعنق فكانت جويرية أيمناً امرأة على قومها
كما قالت عائشة رضي الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة
الجليلة أن أسلم بنو المصطلق عن بكره أيهم وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا
عليهم وقد حصل في هذه الغزوة نادر ثان لولا أن صاحبتهما حكمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لمادتاً بالتفريق على المسلمين (فأولاهما) أن أجير العمر
ابن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الاجير الحليف حتى سال دمه
فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين فأقبل الذعر من
الفريقين وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فقال ما بال دعوي
الجاهلية (وهي ما يقال في الاستغاثة يا فلان) فأخبر الخبر فقال دعوا هذه الكلمة
فانها منتنة ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد
الله بن أبي هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال ما رأيت كالיום
مذلة أو قد فعلوها نافرو نافي ديارنا والله مانحن والمهاجرون إلا كما قال الاول سمن

كلبك يا كلك أما والله (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجننا من الأعراس منها إلا ذل) ثم التفت
 إلى من معه وقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم
 أما والله لو أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتي
 جعلتم أنفسكم غرضا للمنيادون محمد فأيتمتم أولادكم وقلتم وكثروا فلا تنفقوا
 عليهم حتي ينفذوا من عنده وكان في مجلسه شاب حديث السن قوى الإسلام
 اسمه زيد بن أرقم فاخبر رسول الله الخبر فغضب وجهه وقال يا غلام املك غضبت عليه
 فقلت ما قلت فقال والله يا رسول الله لقد سمعته قال لعله أخطأ سمعك فاستأذن عمر
 الرسول في قتل ابن أبي أو أن يأمر أحدا غيره بقتله فنهأ عن ذلك وقال
 كيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ثم أذن بالرحيل في وقت
 لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك عليه السلام شغل الناس عن التكلم
 في هذا الموضوع فجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال في هذا
 الوقت فقال أو ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه ان رجع إلى المدينة ليخرجن
 الأعراس منها إلا ذل قال أنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الدليل
 وأنت العزيز ثم سار عليه السلام بالناس سيرا حيثما حتى آتتهم الشمس فنزل
 بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياما وكلم رجال من
 الأنصار عبد الله بن أبي في أن يطلب من الرسول الاستغفار فلوى رأسه واستكبر
 وهنا نزل على الرسول سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبي واخوانه
 وصدقت زيد بن أرقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبي استأذن رسول
 الله في قتل أبيه حذرا من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضغان
 وأحقاد فأمره عليه السلام بالأحسان إلى أبيه

(حديث الافك)

(النادرة الثانية) وهي أفظع من الاولى وأجلب منها المصائب وهي رمى عائشة الصديقة زوج رسول الله بالافك فاتهموها بصفوان بن المعطل السلي وذلك أنهم لما دنوا من المدينة أذن عليه السلام ليلة بالرحيل وكانت السيدة قد مضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش فلما قصت شأنها أقبلت الى رحلتها فلمست صدرها فاذا عقد لها من جرع ظفار قد انقطع فرجعت تلتصق بعقدتها فحسبها ابتغاؤه فأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونها فاحتلموا هو وجهها ظانين أنها فيه لان النساء كن اذذاك خفافا لم يغشهن اللحم فلم يستنكر القوم خفة الهودج وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت نزل الجيش بعد أن وجدت عقدتها وليس بالمنزل داع ولا حبيب فغلبتها عينها فنامت وكان الذي يسير وراء الجيش يفتقد ضائع صفوان بن المعطل فأصبح عند منزلها فعرفها لانه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه وسرت وجهها بجلبائها فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة ثم انطلق يقودها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة فقامت قيامة أهل الافك وقالوا ما قالوا في عائشة وصفوان والذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك وهي لا تشعر بشيء وكانت تعرف في رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيبا منها في هذا المرض بل كان يمر على باب الحجرة لا يزيد على قوله كيف حالكم مما جعلها في ريب عظيم فلما نهت خرجت هي وأم مسطح بن أثانة أحد أهل الافك للتبرز خارج البيوت فمئرت

أم مسطح في مرطها فقالت تمس مسطح فقالت عائشة بشس ما قلت أنسبين
رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه أو لم تسمعي ما قالوا فسألتها عائشة عن
ذلك فأخبرتها الخبر فازدادت مرضا على مرضها ولما جاءها عليه السلام
كمادته استاذنته أن تمرض في بيت أبيها فاذن لها فسألت أعمى عما يقول
الناس فقالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل
يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها فقالت عائشة سبحان الله أو قد تحدث
الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتي أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل
بنوم وفي خلال ذلك كان عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل
فقال له أسامة بن زيد لما يعلمه من براءة عائشة أهلك أهلك ولا نعلم عليهم
الا خيرا وقال علي بن ابي طالب لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير
وسل الجارية تصدقك فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة وقال لها هل
فرأيت من شيء يريك فتحات والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا
قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأني الداجن
فتأكله فقام عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون وقال من ان
يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي الا خيرا
ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على أهلي الا معي فقال
سعد بن معاذ أنا يا رسول الله أعذرك منه فان كان من الاوس ضربت
عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن
عبادة الخزرجي وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان
من رهطك ما أحبيت أنه يقتل فقام أسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة

كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين وكادت تكون
فتنة بين الاوس والخزرج لولا أن رسول الله نزل من فوق المنبر وخفصهم
حتى سكتوا أما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم: وبينما
هي مع أبيها اذ دخل النبي عليه السلام فسلم ثم جلس فقال أما بعد يا عائشة
انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت
بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف وقاب تاب الله عليه
فتخلص دمع عائشة وقالت لا بويها أجيب رسول الله فقالا والله ما ندرى ما نقول
فقاتلنى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم
وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم
بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم مثلاً إلا أبا
يوسف قال (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاوِل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة
الصديقية (إن الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرّاً لكم بل هو خير
لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا
إفك مبين: لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند
الله الكاذبون. ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة لمسكم فيما
أفضتكم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم
به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم: ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون

لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم: يعظكم الله أن تمودوا المثله أبداً أن كنتم مؤمنين: ويبين الله لكم الآيات والله عليهم حكيم: أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون: ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) فسرى عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة فقالت لها أمها قومي فاشكري رسول الله فقالت لا والله لا أشكر إلا الله الذي برأني وبعد ذلك أمر عليه السلام بأن يجلد من صرح بالافك ثمانين جلدة وهي حد القاذف وكانوا ثلاثة حمنة بنت جحش ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وكان أبو بكر ينفق على مسطح ابن أثانة لقرابته منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزله الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر بل نحب ذلك يا رسول الله وأعاد النفقة على مسطح فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الأمم مظهرين لهم المحبة وقلوبهم مملوءة حقداً يترصون الفتن فمتى رأوا بالهالوجوه فنعوذ بالله منهم

(غزوة الخندق)

لم يقر لمظناء بنى النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وارث المسلمين لها بل كان في نفوسهم دائماً أن يأخذوا نازهم ويستردوا بلادهم فذهب جميع

منهم الى مكة وقابلوا رؤساء قريش وحرصوهم على حرب رسول الله ومنوهم
المساعدة فوجدوا منهم قبولاً لما طلبوه ثم جاؤا الى قبيصة غطفان وحرصوا
رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا منهم ارتياحاً
فتجهزت قريش وأتباعها يرأسهم أبو سفيان ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة
ابن أبي طلحة العبدي وعددهم أربعة آلاف معهم ثلاثمائة فرس والفرس
وتجهزت غطفان يرأسهم عيينة بن حصن الذي جازى إحسان رسول الله
كفراً فانه كما قدمنا أقطعه أرضاً يرعى فيها سوائمه حتى اذا سمن خفه وحافره
قام يقود الجيوش لحرب من أنعم عليه وكان معه ألف فارس وتجهزت بنو
مرة يرأسهم الحارث بن عوف المري وهم أربعمائة وتجهزت بنو أشجع يرأسهم
أبو مسعود بن ربيعة وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس وهم
سبعائة وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الأسدي وعدة الجميع عشرة
آلاف محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه عليه السلام أخبارها ته التجهيزات
استشار أصحابه فيما يصنع أيحكى بالمدينة أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرار فأشار عليه
سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو عمل لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام
المسلمين بعمله وشرعوا في حفره شمالى المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة
الغربية وهذه هي الجهة التي كانت عورة تؤتى المدينة من قبلها أما بقية حدودها
فمشتبكة بالبيوت والنخيل لا يتمكن العدو من الحرب جهتها وقد قاسى
المسلمون صعوبات جسيمة في حفر الخندق لانهم لم يكونوا في سعة من
الغيش حتى يتيسر لهم العمل وعمل معهم عليه الصلاة والسلام فكان ينقل
التراب متمثلاً بشعر ابن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام إن لاقينا
والمشركون قد كفوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

وأقام الجيش في الجهة الشرقية مسنداً ظهره الى سلع وهو جبل مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن خارثة ولواء الانصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت بمجمع الاسيال وأما غطفان فنزلت جهة أحد وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم افراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة بن أبي جهل وعمر بن ود وآخرون وقد برز على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لعمر بن ود فقتله وهرب اخوانه وهوى في الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه (ورمي) سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أكله وهو شريان الذراع واستمرت المناوشة والمراعاة بالنبل يوماً كاملاً حتى فانت المسلمين صلاة ذلك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على الخندق حراساً حتى لا يقتحمه المشركون بالليل وكان يحرس بنفسه ثلثة فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر أصحابه بالنصر والظفر ويعدهم الخير أما المنافقون فقد أظهروا في هذه الشدة ما تكنه ضمائرهم حتى قالوا (ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً) وانسحبوا قائلاً ان بيوتنا عورة نخاف أن يغير عليها العدو (وما هي ببوزة ان يريدون الا فراراً) واشتدت الحال بالمسلمين فان هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينة والذي زاد الشدة عليهم ما بلغهم

من أن يهود بني قريظة الذين يساكنونهم في المدينة قد اتهموا هذه الفرصة
لنقض العهد وسبب ذلك أن حبي بن أخطب سيد بني النضير المجلين
توجه الى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة وكان له كالشيطان اذ قال
للاسان اكفر فحسن له نقض العهد ولم يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين ولما
بلغت هذه الاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل مسلة بن أسلم في
مائتين وزيد بن حارثة في ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفا على النساء والذراري
وأرسل الزبير بن العوام يستجلى له الخبر فلما وصلهم وجدهم حائقين يظهر
على وجوههم الشرونا وامن رسول الله والمسلمين أمامه فرجع وأخبر الرسول
بذلك وهناك اشتد وجل المسلمين وزلزلوا زلزالا شديدا لان العدو
جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وظنوا بالله الظنون وتكلم المنافقون بما بدا لهم فأراد عليه السلام أن يرسل
لمينة بن حصن ويصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب بفظفان فأبى الانصار
ذلك قائلين انهم لم يكونوا ينالون منا قليلا من ثمرنا ونحن كفار أبعده الاسلام
يشاركوننا فيها واذا أراد الله العناية بقوم هيأ لهم أسباب الظفر من حيث
لا يعلمون فانظر الى هذه العناية من الله بالمتمسكين بدينه القويم جاء نعيم بن
مسعود الاشجعي وهو صديق قريش واليهود ومن غطفان فقال يا رسول الله
اني قد أسلمت وقومى لا يعلمون باسلامي فمرني بأمرك حتى أساعدك فقال
أنت رجل واحد وماذا عسى أن تفعل ولكن خذل عنما استطعت فان الحرب خدعة
(الخدعة في الحرب)

فخرج من عنده وتوجه الى بني قريظة الذين نقضوا عهد المسلمين فلما

وأوه أكرموه لصداقته معهم فقال يا بني قريظة تعرفون ودي لكم وخوفي
 عليكم واني محدثكم حديثاً فاكموه عنى قالوا نعم فقال لقد رأيتم ما وقع لبني
 قينقاع والنضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وان قريشا وغطفان ليسوا
 مثلكم فهم اذا رأوا فرصة انتهزوها والا انصرفوا البلادهم وأما أنتم
 فتساكنون الرجل (يريد الرسول) ولا طاقة لكم بحربه وحدثكم فأرى
 أن لا تدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان انهم لن يتركوكم
 وينهبوا الى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفا منهم فاستحسنوا
 رايه وأجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم وتوجه الى قريش فاجتمع رؤسائهم
 وقال أنتم تعرفون ودي لكم ومحبتى اياكم واني محدثكم حديثاً فاكموه
 عنى قالوا نفعل فقال لهم ان بني قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد وخافوا
 منكم أن ترجعوا وتركوهم معه فقالوا له أيرضيك أن نأخذ جمعاً من اشرافهم
 ونعطيهم لك وترد جناحنا الذي كسرت (يريد بني النضير) فرضى بذلك
 منهم وهام مرسلون اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفاً ثم
 أتى غطفان فآخبرهم بمثل ما أخبر به قريشا فارسل أبو سفيان وفداً لقريظة
 يدعوهم للقتال غداً فاجابوا انا لا يمكننا أن نقاتل في السبت (وكان ارسله لهم
 ليلة سبت) ولم يصبنا ما أصابنا الا من التمدى فيه ومع ذلك فلا نقاتل حتي
 تعطونا رهائن منكم حتى لا يتركونا وتذهبوا الى بلادكم فتحققت قريش
 وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم بعضاً وكان عليه
 السلام قد ابتهل الى الله الذي لا ملجأ الا اليه ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب
 سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد أجاب الله

دعاه عليه السلام فارسل على الاعداء ريحا باردة في ليلة مظلمة فخاف العرب أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم في الليلة المدلهممة فاجتمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ولما سمع عليه السلام الضوضاء في جيش العدو قال لا صباحه لا بد من حادث فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتي كرر ذلك ثلاثا وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال عليه السلام تسمع صوتي منذ الليلة ولا تنجيب فقال يا رسول الله ابرد شديدا فقال اذهب في حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم فخاطر رضي الله عنه بنفسه في خدمة نبيه حتي اطلع على جلية الخبر وأن الاعداء عازمون على الرحلة

﴿ هزيمة الاحزاب ﴾

وقد بلغ من خوفهم أن كان رئيسهم أبوسفیان يقول لهم ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذرا من أن يدخل بينكم عدو وقد حل عقال بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل فقال له صفوان بن أمية انك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي فنزل أبوسفیان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتي لا يدهموا من ورائهم وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي تحزب فيها الاحزاب من عرب ويهود على المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منة منه وفضلا لساءت الحال . وكان جلاء الاحزاب في ذى القعدة وكان حقا على الله أن يسميه نعمة بقوله في سورة الاحزاب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا : إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا

هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا : وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن يئوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون الا فرارا

(غزوة بني قريظة)

ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله باللحوق ببني قريظة حتى يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم اليهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة فقال لأصحابه لا يصليين أحد منكم العصر الا في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام راكبا على حماره ولواؤه بيد علي بن أبي طالب وخليفته على المدينة عبد الله بن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وقد أدرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها بعضهم حاملين أمر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة ولم يصلها الا آخرون الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الامر على حقيقته فلم يعنف فريقاً منهم (ولما رأى بنو قريظة جيش المسلمين ألقى الله الرعب في قلوبهم وأرادوا التصل من فعلتهم القبيحة وهي الغدر بمن عاهدوهم وقت الشغل بعدوا آخروا لكن أنى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرهم فلما رأوا ذلك تحصنوا بحصونهم وحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة فلما رأوا أن لا مناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين أن يزلوا على ما نزل عليه بنوا النضير من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا يجلو ان بانفسهم من غير سلاح فلم يرض أيضاً بل قال لا بد من النزول والرضا

بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً فقالوا له ارسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان أوسياً من حلفاء قريظة له بينهم أولاد وأموال فلما توجه اليهم استشاروه في النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا وأوماً ييده الى حلقة يريد أن الحكم الذبح: ويقول أبا لبابة لم أبارح موقفي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصدا المدينة خجلاً من مقابلة رسول الله وربط نفسه في سارية من سواري المسجد حتى يقضي الله فيه أمره : ولما سأل عنه عليه السلام أخبر بما فعل فقال أمانه لو جاءني لاستغفرت له أما وقد فعل ما فعل فتركه حتى يقضى الله فيه : ثم ان بني قريظة لما لم يروا بدا من النزول على حكم رسول الله فعلوا فأمر برجالهم فكتفوا فجاءه رجال من الاوس وسألوه أن يعاملهم كما امل بنى قينقاع حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم لا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذي كان جريحاً من السهم الذي صيب به في الخندق وكان مقيماً بخيمة في المسجد معدة لمعاملة الجرحي فأرسل عليه السلام من يأتي به فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الاوس يقولون له أحسن في مواليك ألا ترى ما فعل ابن أبي في مواليه فقال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لأثم : ولما أقبل على الرسول وأصحابه وهم جلوس قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فأنزلوه ففعلوا وقالوا له ان رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وقال له الرسول احكم فيهم يا سعد فالتفت سعد للناحية التي ليس فيها رسول الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت فقالوا نعم فالتفت الى الجهة التي فيها الرسول وقال وعلى من هنا كذلك وهو غاض طرفه إجلالاً فقالوا نعم قال فاني أحكم أن تقتل

الرجال وتسبوا النساء والذرية فقال عليه السلام (لقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد) لان هذا جزء الخائن الغادر ثم أمر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت عنائهم فكانت ألفاً وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد اثنا عشر آنية وأجلاً تواضع وشياهاً فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للرجال ثلث الفارس واعطي النساء اللاتي كن يمرضن الجرحى ووجدني الغنيمة جزار خمر فارتقت وبعد تمام هذا الامر انفجر جرح سعد بن معاذ فمات رضى الله عنه وأرضاه كان في الانصار كابي بكر في المهاجرين وقد كان له العزم الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندق وكان عليه السلام يحبه كثير أو بشره بالجنة على عظيم أعماله (وعقب) رجوع المسلمين الى المدينة تاب الله على لبابة بقوله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وقد عاهد الله ان يهجر ديار قريظة التي حصلت فيها هذه الزلة وتبهم هذه الغزوة اراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا العمد والخيانة ولم تبق الا بقية من كبارهم بخير مع أهلها وهم الذين كانوا السبب في اثاره الاحزاب وسيأتى للقارىء قريباً اليوم الذى يعاقبون فيه

﴿زواج زينب بنت جحش﴾

وفي هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأما أميمة عمتها بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها زيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطبها له فتأفف أهلها من ذلك لمكانها في الشرف العظيم فان العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم من الموالي ويعتقدون أن لا كفء من سواهم لبناتهم وزيد وان كان الرسول تبناه ولكن هذا لا يلحقه

بالإشراف فلما نزل قوله تعالى في سورة الاحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) لم يروا بداً من القبول فلما دخل عليها زيد أرتته من كبريائها وعظمتها ما لم يتحمّله فاشتكاها لرسول الله فأمره باحتمالها والصبر عليها الى أن ضاقت نفسه فأخبره بالعزم على طلاقها وكرر ذلك . ولما كانت العشرة بين مثل هذين الزوجين ضرباً من العيب أمر الله نبيه أن يتزوج زينب بعد طلاقها حسماً لهذا الشقاق من جهة وحفظاً لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى من جهة أخرى ولكن رسول الله خشي من لوم اليهود والعرب له في زواجه بزواج ابنته فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى في نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بإبطال هذه القاعدة وهي تحريم زوج المتبنى بقوله في سورة الاحزاب (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) ثم إن الله حرم التبنّي على المسلمين لما فيه من الاضرار وأنزل فيه في سورة الاحزاب (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) ومن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة) بدل (زيد بن محمد) وأبدل بذلك أن ذكر اسمه في قرآن يتلى على مر الدهور والاعوام : يقول المؤرخون وذوو المقاصد السافلة منهم في هذه القصة أقوالاً لا تجوز الا من ضاع رشده ولم يفقه حقيقة ما يقول فانهم يذكرون أن الرسول

توجه يوماً لزيارة زيد فرأى زوجه مصادفة لان الريح رفعت الستر عنها فوقعت في قلبه فقال سبحان الله فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجه وأخبر الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف ستر الوجوه وزينب بنت عمته وأسلت قديماً ورسول الله بمكة فكيف لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهى بنت عمته إلا حينما رفعت الريح الستر مصادفة ورسول الله هو الذى زوجها زيداً ولو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها هو ولا مانع يمنعه من ذلك :ومن منا يتصور أن السيد الاكرم يقول لقومه انه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله له بقوله فى سورة الحجر المكية (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجنا منهم) وفى سورة طه المكية أيضاً (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا) ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى زوجه مصادفة ثم يشتهى زواجها ان هذا الامر عظيم تشعر بذلك صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعيب عليه فكيف بمن أجمعت كلمة المؤرخين على أنه أحسن الناس خلقاً وأبعدهم عن الدنيا وأشدهم ذكاء وفراصة حتى مدحه الله بقوله فى سورة ن (ولأنك لعلى خلق عظيم) لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الفرائق وضعها أعداء الدين ليصلوا بها الى أغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل فلم تبق شبهة فى أن الحقيقة ما نقائناه لك أولاً وهو الذى يستفاد من القرآن الشريف قال تعالى فى سورة الاحزاب (واذا تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق

الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها الكيلا ليكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) والذي أبداه الله هو زواجه بها ولم يبد غير ذلك وهذا القرآن أعظم شاهد

﴿الحجاب﴾

وفيه نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه قرآن وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأته كن عين فنزل في سورة الاحزاب (واذا سألتهم من متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) فقال بعضهم أنتهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن عائشة فنزل بعد الآية المتقدمة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولو أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيماً) أما غير أزواجه عليه السلام من المؤمنات فامرن بنض الابصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن أن لا يبدن زينتهن للاجانب إلا ما ظهر منها كالخاتم في الاصبع والخضاب في اليد والكحل في العين أما ما خفى منها فلا يحل ابدائه كالسوار للذراع والدمالج للعضد والخلخال للرجل والقلادة للعنق والا كليل للرأس والوشاح للصدر والقرط للاذن والمراد بالزينة الظاهرة والخفية موضعها وأمرن أيضاً بأن يضر بن بخمرهن على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فان النساء اذ ذاك كانت جيوههن واسعة تبدو منها مخورهن وصدورهن وما حو اليها وكن يسدن الحمر من ورائهن ونهين عن أن يضر بن

بأرجلهم ليعلم أنهم ذوات خلخال وإذا كان النهي عن اظهار صوت الحلى بعدما
 نهينا عن اظهار الحلى علم بذلك أن النهي عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ قال
 تعالى في سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن
 ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين
 زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو بناتهن أو
 اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن
 أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات
 النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا
 أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وكان النساء في أول الاسلام كما كن في الجاهلية
 متبذلات تبرن المرأة في درع وخمار لا فرق بين الحرة والامة وكان الفتيان وأهل
 الشطارة يتعرضون للاماء اذا خرجت بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل
 والغيطان وربما تعرضوا للحرمة بعة الامة يقولون حسبناها أمة فأمرنا أن نخالفن
 بزينة عن زي الاماء بأن يدين عليهن من جلايين ليغطي الوجه والاعطاف
 ليعقشن ويهبن فلا يطعم فيهن طامع قال تعالى في سورة الاحزاب (يا أيها
 النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيين ذلك
 أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) أما حجب المرأة عمن يريد
 خطبتها فهو أمر لم يكن يفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف
 الصالح فان الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى
 يتم الوفاق والوثام بين الزوجين في أمر أجمع عليه أئمة الدين قال حجة الاسلام
 الغزالي في الاحياء (وقد ندب الشرع الى مراعاة أسباب الالفة ولذلك استحب

النظر فقال اذا وقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى أن يؤدم
 بينهما أى يؤلف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة
 الجلدة الظاهرة وأما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه السلام (ان في أعين
 الانصار شيئا فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن) قيل كان في أعينهن
 عمش وقيل صغروا وكان بعض الصالحين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا
 من الغرور وقال الا عمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخروهم وغم ولا يبعد أن
 يكون فساد الزمن والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق الى مكارم الاخلاق قد
 حسا عند عامة المسلمين في العصور الاولى حجب المرأة مطلقا جسمها الفاسد ودرا
 للفتنة ﴿فرض الحج﴾

وفي هذا العام على ما عليه الاكثرون فرض الله على الامة
 الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلا ليجتمع المسلمون من جميع
 الاقطار فيتجهوا الى الله ويبتهلوا اليه أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على اتباع
 دينه القويم وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه للمسلمين
 الفائدة العظمى

(السنة السادسة)

(سرية)

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه السلام محمد بن
 مسلمة في ثلاثين راكبا لشن الغارة على بني بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين
 بناحية ضرية (١) فسار اليهم يكمّن النهار ويسير الليل حتى دهمهم فقتل

(١) موضع على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة

منهم عشرة وهرب باقيهم فاستأقت السرية النعم والشيء وعادوا راجعين الى المدينة وقد التقوا وهم عائدون بئامة بن أثال الحنفى من عظماء بنى حنيفة فأسروه وهم لا يعرفونه فلما أتوا به رسول الله عرفه وعامله بمنتهى مكارم الاخلاق فانه أطلق أساره بعد ثلاث أبى فيها الانقياد للاسلام بعد أن عرض عليه ولما رأى تمامة هذه المعاملة وهذه المكارم رأى من البعث أن يتبع هواه ويترك ديناً عماده المحامد فرجع الى رسول الله وأسلم غير مكره وخاطب الرسول بقوله (يا محمد والله ما كنت على الارض من وجه أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى والله ما كان على الارض من دين أبغض الى من دينك فقد أصبح أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح أحب البلاد الى) فسر عليه السلام كثيراً باسلامه لان من ورائه قوما يطيعونه ولما رجع تمامة الى بلاده مرمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش ايذاه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التى منها تمامة فتركوه ومع ذلك فقد حلف هو أن لا يرسل اليهم من اليمامة حبوا حتى يؤمنوا فجهدوا جدوا ولم يروا بدا من الاستغاثة برسول الله فعاملهم عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والرحمة وأرسل لتمامة ان يعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة ففعل وقد كان لهذا الرجل الكريم الاصل قدم راسخة فى الاسلام عقب وفاة الرسول حينما ارتد أكثر أهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم اياكم وأمراء ظلاما لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضى الله عنه

(غزوة بني لحيان)

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت وأخوانه ولم يزل رسول الله حزينا عليهم متشوقا للقصاص من عدوهم حتى ربيع الاول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هي عادته عليه السلام في غالب الغزوات لتعمي الاخبار عن الاعداء وولي على المدينة أم مكتوم وسار في مائتي راكب معهن عشرين فرسا ولم يزل سائر اراضيهم مقتل أصحاب الرعية فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع به بنو لحيان تفرقوا في الجبال فأقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث سرايا فلا يجدون أحدا ثم أرسل بمضا من أصحابه ليأتوا عسفان (١) حتى يعلم بهم أهل مكة فيدخلهم الرعب فذهبوا الى كراع الغميم (٢) ثم رجع عليه السلام الى المدينة وهو يقول (آيئون تائبون ربنا حامدون أعوذ بالله من وثناء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال) (غزوة الغابة)

كان للنبي عليه السلام عشرون لقعة ترعى بالغابة (٣) فأغار عليها عيينة ابن حصن في أربعين راكبا واستلبها من راعيها فجاءت الاخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي بلغه هو سلمة بن الأكوع أحد رماة الانصار وكان عداء فأمره الرسول بأن يخرج في أثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هاربا فلا يلحق فاذا دخلت الخيل بعض المضائق علا الجبل فرمى عليها الحجارة حتى ألقوا كثيرا مما بأيديهم من الرماح والابراذ ليخففوا عن

(١) موضع قرب مكة (٢) جبل جنوب عسفان بئانية اميال

(٣) موضع على بر يد من المدينة جهة عطفان

أنفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ولم يزل سلة على ذلك حتى تلاحق به الجيش
فان الرسول دعا أصحابه فاجابوه وأول من انتهى اليه المقداد بن الاسود
فقال له اخرج في طاب القوم حتى ألحقك وأعطاء اللواء فخرج وتبعته الفرسان
حتى أدركوا وأخرا العدو فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان
واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلة
ابن الاكوع من رسول الله أن يرسله مع جماعة في أثر القوم ليأخذهم على غرة
وهم نازلون على أحديهم فقال له عليه السلام (ملكك فأسجج) ثم رجع بعد
خمس ليال

(سرية)

كان بنوا أسد الذين مرزكهم كثيرا ما يؤذون من يربهم من المسلمين
فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن في أربعين را كبا ليغير عليهم ولما
قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلا نائما فأمنوه ليذهبهم علي
نعم القوم فذهبهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا
كيدا

(سرية)

وفي ربيع الاول بلغه عليه السلام أن من بندي القصبة (١) يريدون الاغارة على
نعم المسلمين التي ترعي بالهيفاء (٢) فأرسل لهم محمد بن مسلمة في عشرة من المسلمين
فبلغ ديارهم ليلا وقد كمن لهم المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا
الا والنبل قد داخلهم فتواثبوا على أسلحتهم ولكن تغلب عليهم الأعداء فقتلواهم
(١) موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة في طريق الر بذة (٢) موضع قرب المدينة

غير محمد بن مسلمة تركوه لظنهم أنه قتل فعاد الى المدينة وأخبر الرسول عليه السلام فأرسل أباعبيدة عامر بن الجراح في ربيع الآخر ليقصص من الأعداء فلما وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هاريين فاستاق نعمهم ورجع

(سرية)

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق المسلمين في سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة في ربيع الآخر ليغير عليهم في الجوم (١) فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا هناك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بني سليم فاصابوا بها نكاحا ووجدوا رجلا أسروهم وفيهم زوج تلك المرأة فرجعوا بذلك الى المدينة فذهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها

﴿سرية﴾

بلغ الرسول أن عيرا القرشي أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل لها زيد ابن حارثة في مائة وسبعين راكبا ليعترضها فأخذها وما فيها وأسر من معها من الرجال وفيهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة فاستجار بزوجه زينب فأجارته ونادت بذلك في مجمع قريش فقال عليه السلام (المسلمون يد واحدة يحير عليهم أديانهم وقد أجزنا من أجزت) وهذا أبلغ ما قيل في المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ماله بأسره لا يفقد منه شيئا فذهب الى مكة فأدى لكل ذي حق حقه ورجع الى المدينة مسلما فرد عليه رسول الله زوجته

﴿سرية﴾

وفي جمادى الآخرة أرسل عليه السلام زيد بن حارثة في خمسة عشر رجلا
للاغارة على بني ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد بن مسلمة وهم مقيمون بالطرف
(١) فتوجهت السرية لذلك ولما رأهم الأعداء ظنّوهم طليعة لجيش رسول
الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا إلى المدينة بعد
أربع ليال

(سرية)

وفي رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بني فزارة لأنهم
تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ماله وكادوا يقتلونه فلما
جاء المدينة وأخبر الرسول الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين
في وادي القرى (٢) فساروا حتى دهموا العدو وأحاطوا بهم وقتلوا منهم
جمعا كثيرا وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة فاستزهبها عليه السلام ممن
أسرها وفدي بها أسيرا كان بمكة

(سرية)

وفي شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع سبعمائة من
الصحابة لغزو بني كلب في دومة الجندل (٣) وقد وصاهم عليه السلام قبل السفر
بقوله (أغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلن من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا
ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم) ثم أعطاه اللواء

(١) ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة في طريق العراق

(٢) موضع شمال المدينة (٣) حصن وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين

المدينة خمس عشرة ليلة

فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو فدعوه إلى الإسلام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الأصمغ بن عمرو النصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقي آخرون راضين بأعطاء الجزية فنزول عبد الرحمن بنت رئيسهم كما أمره بذلك عليه السلام وهذه أقرب واسطة لتمكين صلوات الود بين الأمراء بحيث يهمل كلامهم الآخر فعمما هي سياسة السلم والمحبة

﴿ سرية ﴾

وفي شعبان أرسل عليه السلام على بن أبي طالب في مائة لغزو بني سعد بن بكر بفدك (١) لأنه بلغه أنهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خيبر فسارت السرية وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس العدو وأرسلوه إلى خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه أن يدلهم على القوم وهو آمن فدلهم على موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاة فحذروا قومهم فدخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسائة بعير وألفا شاة ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشيء (قتل أبي رافع)

وكان المحرك لأهل خيبر على حرب المسلمين وهو سيدهم أبو رافع سلام بن أبي الحقيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة في التجارة وكان ذا قوة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد فانتدب له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم عبد الله بن عتيك ليكون لهم مثل أجر أخوانهم من الأوس الذين قتلوا كعب بن الأشرف فإن من نعم

(١) قرية بينهما وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر

الله على رسوله أن كان الاوس والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ
 رغبات رسول الله فلا تعمل الاوس عملاً الا اجتهد الخزرج في مثله فأمرهم
 الرسول بذلك بعد أن وصاهم أن لا يقتلوا وليدًا ولا امرأة فسادوا حتى
 أتوا خيبر فقال عبد الله لأصحابه مكانكم فاني منطلق للبواب ومتلطف له
 لعلني أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كانه يقضي حاجته وقد دخل
 الناس فهتف به البواب ادخل يا عبد الله ان كنت تريد الدخول فاني أريد أن
 أغلق الباب فدخل وكمن حتى نام البواب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب
 ثم توجه الى بيت أبي رافع وصار يفتح الابواب التي توصل اليه وكلما فتح بابا
 أغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنه
 تمييزه فنادى يا أبا رافع قال من فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم ينف شيئا
 وعند ذلك قالت امرأته هذا صوت ابن أبي عتيك فقال لها تكلمت أمك
 وأين ابن أبي عتيك الآن فعاد عبد الله للنداء فغير اصوته قائلاً ما هذا الصوت
 الذي نسمعه يا أبا رافع قال لا أمك الويل ان رجلا في البيت ضربني بالسيف
 فعمد اليه فضر به أخرى لم تغن شيئا فتواري ثم جاءه كالمغيث وغير صوته
 فوجده مستلقيا على ظهره فوضع السيف في بطنه وتحامل عليه حتى سمع
 صوت العظم ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفا فوقع من فوق السلم
 فانكسرت رجله فعصصها بعمامته ثم انطلق الى أصحابه وقال النجاة قتل والله
 أبو رافع فانتبهوا الى الرسول فحدثوه ثم قال لعبد الله ابسط رجلك فمسحها
 عليه السلام فكانه لم يشتكها قط وعادت أحسن ما كانت فانظر رعاك الله الى
 ما كان عليه المسلمون من استسهال المصائب مادامت في ارضاء رسول الله صلى

الله عليه وسلم فرضى الله عنهم وأرضاهم

(سرية)

(ولما) قتل كعب بنى اليهود مكانه أسير بن رزام فأرسل عليه السلام من يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد ما لم يصنعه أحد قبلى أسير الى غطفان فاجمعهم لحربه وسمي في ذلك فارس على السلام عبد الله بن رواحة الخزرجي في ثلاثين من الانصار لاستمالته فخرجوا حتى قدموا خيبر وقالوا لا سير نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولى مثل ذلك فاجابوه ثم عرضوا عليه أن يقدم على رسول الله ويترك ما عزم عليه من الحرب فيؤليه الرسول على خير فيعيش أهلها بسلام فأجاب الى ذلك وخرج في ثلاثين يهوديا كل يهودي رديف لمسلم وبينهما هم في الطريق ندم أير على محبته وأراد التخلص مما فعل بالغدر بمن آمنوه فاهوى بيده الى سيف عبد الله ابن رواحة فقال له أغدرا يا عدو الله ثم نزل وضر به بالسيف فاطاح عامة فخذله ولم يلبث أن هلك فقام المسلمون على من معه من اليهود فقتلوه عن آخرهم وهذا عاقبة الغدر

قصة عكل وعرينة

قدم على رسول الله في شوال جماعة من عكل وعرينة فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم عليه السلام بدود من الابل معماراع وأمرهم بالحقق بها في مراعاها ليشربوا من ألبانها وأبوها ففعلوا ولما تم شفاؤهم جاوز الاحسان كفرا فقتلوا الراعي ومثلوا به واستاقوا الابل فلما بلغ ذلك رسول الله أرسل وراءهم

كرز بن جابر الفهري في عشرين فارسا فحقوا بها وقبضوا على جميعهم ولما جرى بهم الى المدينة أمر عليه السلام أن يمثل بهم كما مشلوا بالرعي فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا بالحرة حتى ماتوا فبهكذا يكون جزاء الخائن الذي لا ينتظر منه صلاح وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الاصل ولؤم العشيرة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن المثلة

(سرية)

جلس أبو سفيان بن حرب يوم ما في نادى قومه فقال لأرجل يذهب لمحمد فيقتله غدافانه يمشي بالاسواق لنستريح منه فتقدم له رجل وتعهده بما أراد فاعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل حتى وصل الى المدينة صبح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله فدل عليه وهو بمسجد بني عبد الاشهل فلما رآه عليه السلام قال ان هذا الرجل ليريد غدرا وان الله مانعي منه فذهب لينجني على الرسول فجذبه أسيد بن حضير من إزاره وهناك سقط الخنجر فندم الرجل على فعلته ثم سأله عليه السلام عن سبب عملة فصدقه بعد أن توثق من حفظ دمه فخلى عليه السلام سبيله فقال الرجل والله يا محمد ما كنت أخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم أنك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وانك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أـلم وعذ ذلك أرسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمري وكان رجلا جريثا فأتكا في الجاهلية وأصبحه برفيق ليقتلا بأسفيان غيلة جزاء اعتدائه فلما قدما مكة توجهتا ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ما أرسلتاه ففرغ عمرا أحد رجال مكة فقال هذا عمرو بن أمية ما جاء الا بشر فلما رآهم علموا به

لم يجد مناصاً من الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكان الله سبحانه أراد أن يعيذ أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح مكة للمسلمين ويعتق الدين الحنيفي القويم

(غزوة الحديبية)

رأى عليه السلام في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمين محلقين رؤوسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة واستنفر الأعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه حذراً من أن تردهم قريش عن عمرتهم ولكن هؤلاء الأعراب أبطؤا عليه لأنهم ظنوا أن لا يتقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً وتخلصوا بأن قالوا اشغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا فخرج عليه السلام بمن معه من المهاجرين والانصار تبلغ عدتهم ألفاً وخمسمائة وولى على المدينة ابن أم مكتوم وأخرج معه زوجه أم مسلمة وأخرج الهدى ليعلم الناس أنه لم يأت محارباً ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح الا السيوف في القرب لان الرسول لم يرض أن يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون ثم سار الجيش حتى وصل عسفان (١) فجاءه عينه يخبره أن قريشا أجمعت رأيها أن يصدوا المسلمين عن مكة وأن لا يدخلوها عليهم غزوة أبداً وتجهزوا للحرب وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن التقدم فقال عليه السلام هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم فقال رجل من أسلم أنا يا رسول الله فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم الى مستوسهل يملك مكة من أسفلها فلما رأى خالد ما فعل المسلمون رجع الى قريش وأخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام

بثنية المارار (١) بركت ناقته فزجروها فلم تهم فقالوا خلأت القصواء فقال عليه السلام ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قریش لخصلة فيها تعظيم حرمة الله إلا أجيئهم إليهم أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم ولكن كف الله أيدي المسلمين عن قریش وكف أيدي قریش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمة البيت الذي أراد الله أن يكون حرماً آمناً يوطد المسلمون من جميع الاقطار دعائهم أخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام بالنزول أقصي الحديدية (٢) وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولا من قریش يسأل عن سبب محبي المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما رجع بديل الى قریش وأخبرهم بذلك لم يشقوا به لانه من خزاعة الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لأجداده وقالوا أريد محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبداً ومناعين تطرف ثم أرسلوا حليس بن علقمة سيد الاحابيش وهم حلفاء قریش فلما رآه عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون الهدى ابغثوه في وجهه حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك حليس رجع وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أتيج لحم وجذام وحمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب هلك قریش ورب البيت ان القوم أتوا معتمرين فلما سمعت قریش منه ذلك قالوا له اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك بالمكائد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فتوجه الى رسول الله وقال يا محمد قد جمعت أوباش الناس ثم

جئت الى أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت تعاهد الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك فقال منه أبو بكر وقال نحن ننكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله فكان المنيرة بن شعبة يقرع يده اذا أراد ذلك ثم رجع عروة وقد رأى ما يصنع بالرسول أصحابه لا يتوضأ وضوا إلا كادوا يقتتلون عليه يتمسحون به واذا تكلموا اخفضوا أصواتهم عنده ولا يجدون النظر اليه فقال والله يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه وقيصر في عظمتهم فما رأيت ملكا في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبداً فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم ناصح مع أني أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن زرده عامنا ويرجع الي قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان رسولا من عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة استأذنوا الرسول في زيارة أقاربهم وأمر عليه السلام عثمان أن يأتي المستضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وان الله مظهر دينه فدخل عثمان مكة في جوار أبان بن سعيد الأموي فبلغ ما حمل فقالوا ان محمدا لا يدخلها علينا عنوة أبدا ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت فقال لا أطوف ورسول الله ممنوع ثم انهم حبسوه فشاع عند المسلمين أن عثمان قتل فقال عليه السلام حينما سمع ذلك لا تبرح حتى نناجزهم الحرب (بيعة الرضوان)

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك (١) (سميت

(١) امر عمر بن الخطاب من خلافته لما رأى تبرك الناس بها فلينامل

بعد بشجرة الرضوان) على الموت فشاع أمر هذه البيعة في قريش فدخلهم
منهار عب عظيم وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا
بمسكر المسلمين عليهم يصيبون منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة
وهرب رئيسهم ولماعلمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون المسلمين
حتى أسر منهم اثنا عشر رجلا وقتل من المسلمين واحد

(صلح الحديبية)

وعند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للمكاملة في
الصلح فلما جاء قال يا محمد ان الذي حصل ليس من رأي عقلائنا بل
شيء قام به السفهاء منا فابعث اليها بن أسرت فقال حتى ترسلوا من
عندكم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه ثم عرض سهيل الشروط
التي تريدها قريش وهي (١) وضم الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات
(٢) من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشا من المسلمين
لا يلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل
فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع
أصحابه من السلاح الا السيف في القراب والقوس (٤) من أراد أن
يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل في عهد
قريش دخل فيه فقبل عليه السلام كل هذه الشروط . اما المسلمون فدخلهم
منها أمر عظيم وقالوا سبحان الله كيف نرد اليهم من جاء نامسلا ولا يردون
من جاءهم مرتدًا فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله
ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا . أما الامر

الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان أشد تأثيراً في قلوبهم لأن الرسول أخبرهم أنه رأى في منامه أنهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك فقال رضى الله عنه وهل ذكر أنه في هذا العام . ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين وكان الكاتب على بن أبي طالب فأمله عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ما خلفناك أكتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام علياً بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فمحاها النبي بيده وكتبت نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل في قيوده وكان من المسلمين ممنوعين من الهجرة فهرب المسلمون هذه المرة ليحموه فقال عليه السلام اصبروا احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً انا قد عقدنا بين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطينا على ذلك عهداً فلا نغدر بهم: هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ودخل بنو بكر في عهد قريش

ولما انتهى الامر أمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا الهدى ليتحلموا من عمرتهم فاحتلم المسلمون من ذلك هما عظيماً حتى انهم لم يبادروا بالامتنال فدخل عليه السلام على أم المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يا رسول الله اعذرهم فقد حلت نفسك أمراً عظيماً في الصلح ورجع المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ولكن اخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فتقدم عليه السلام الى هديته فنحره ودعا بالحلاق فحلق رأسه فلما رآه المسلمون توابوا على الهدى

فجروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد أمن كل فريق الآخر
ولما قر قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان
لامه فطلبها المشركون فقالت يارسول اني امرأة وان رجعت اليهم فتنوني
في ديني فأنزل الله في سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار لاهن حل لهن ولا هم يخلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا
جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتينوهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم
الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم
حكيم) فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض
ولا من بغض زوج ولا لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وما خرجت
الاحبال لله ولرسوله ومتى حلفت لا ترد بل يعطى لزوجها المشرك ما أنفق عليه
ويجوز للمسلم تزوجها وفي الآية تحريم امساك الزوجة الكافرة بل ترد
الى أهلها بعد أن يعطوا ما أنفقوا عليها (وقد تمكن) أبو بصير عتبة بن أسيد
الثقفى رضي الله عنه من الفرار الى رسول الله فأرسلت قريش في أثره رجلين
يطلبان تسليمه فأمره عليه السلام بالرجوع معهما فقال يارسول الله أتردني
الى الكفار يفتنونني في ديني بعد أن خلاصني الله منهم فقال ان الله جاعل لك
ولاخوانك فرجاً فلم يجد بدا من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما قارب ذا
الحليفة عدا على أحدهما فقتله وهرب منه الآخر فرجع الى المدينة وقال يارسول
الله وفدتك أما أنا فنجوت فقال له اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة
فذهب الى محل بطريق الشام تمر به تجارة قريش فأقام به واجتمع معه جمع

ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا وسار اليه أبو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الاعراب وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتي قطعوا عنهم الامداد فأرسل رجال قريش لرسول الله يستغيثون به في إبطال هذا الشرط ويعطونه الحق في إمساك من جاءه مسلما فقبل منهم ذلك وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية حينما أمرهم عليه السلام برد أبي جندل وذلوا أن رأي رسول الله أفضل وأحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتي قال أبو بكر رضي الله عنه . ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد به جلوز والله لا يعجل لعجلة العباد حتي تبلغ الامور ما أراد : وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح وقال سبحانه في أولها (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) وفي تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمنا لك عن الصديق

(مكاتبة الملوك)

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست وأمن الطريق من قريش كاتب عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام واتخذوا ذلك خاتما من فضه يختم به خطاباتهِ وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره أن يدفعه الى عظيم بصرى ليوصله الى الملك

(كتاب قيصر)

وكان في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) من محمد بن عبد الله الى

هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى : أما بعد فاني أدعوك بدعاية
 الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسين (١)
 ويأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا
 نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا
 اشهدوا بأنا مسلمون .

حديث أبي سفيان

ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله
 منه وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قريش في تجارة فجاءت رسل
 قيصر لابي سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه في القدس قال
 لترجماته سلمهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان
 أنا لانه لم يكن في الركب من بني عبد مناف غيره فقال قيصر أدن مني ثم أمر
 باصحابه فيجعلوا خفاف ظهره ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا
 أمامكم لاسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جعلتكم خلفه كيلا
 تخجلوا من رد كذبه عليه اذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم
 قال هو فينا ذو نسب قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله قال لا قال هل
 كنتم تتهمون به بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا قال فهل كان من آبائه من
 ملك قال لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال
 فهل يزيدون أم ينقصون قال بل يزيدون قال هل يتردد أحد منهم سخطه لدينه
 قال لا . قال هل يغدر اذا عاهد قال لا ونحن الآن منه في ذمة لا ندرى ما

هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قال نعم : قال فكيف حربكم وحربه قال
الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال فبم يأمركم قال يقول اعبدوا
الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهي عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة
والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة فقال الملك اني سألتك عن نسبة
فزعمت أنه فيكم ذونسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال
أحد منكم هذا القول قبله فزعمت أن لا فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت
رجل يأثم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمون به بالكذب قبل أن يقول ما قال
فزعمت أن لا فقلت ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل
كان من آباءه من ملك فقلت لا فلو كان من آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه
وسألتك أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل
وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون وكذلك الإيمان حتى
يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الإيمان حين
تحاطب بشاشته القلوب وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان الحرب بينكم وبينه
سجال وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك بماذا يأمر فزعمت
أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وسألتك هل
يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر فقلت أنه نبي وقد علمت أنه
مبعوث ولم أظن أنه فيكم وان كان ما كلمتني به حقاً فسيملك موضع قدمي
هاتين ولو أعلم أني أخلص اليه لتكلفت ذلك قال أبو سفيان فملت أصوات
الذين عنده وكثر لغتهم فلا أدري ما قالوا وأمر بنو فاجر جناً فلما خرج أبو سفيان
مع أصحابه قال لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الاصرر ولما سار قيصر

الى حمص اذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بابوابها فاغلقت ثم قال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حصية حمر الوحش الى الابواب فوجدوها مغلقة فلما رأى قيصر نفرتهم قال ردوهم على فقال لهم اني قلت مقاتلي أختبر بها شدتكم على دينكم فسكتوا له ورضوا عنه فغلبه حب ملكه على الاسلام فذهب بأمنه وأمن رعيته كما قال عليه الصلاة والسلام ولكنه رد حية زدا حميلا

(كتاب امير بصري)

وأرسل عليه السلام الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى أمير بصري فلما بلغ مؤتة وهى قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد قال الشام قال لملك من رسل محمد قال نعم فامر به فضربت عنقه ولم يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام رسول غيره وقد وجد لذلك وجدا شديدا

(كتاب الحارث بن أبي شمر)

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى أمير دمشق من قبل هرقل الحارث بن أبي شمر وكان يقيم بغوطتها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر سلام علي من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق وانى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق ملكك) فلما قرأ الكتاب رمى به وقال من ينزع ملكي منى واستعد ليرسل جيشا لحرب المسلمين وقال لشجاع أخبر صاحبك بما تري ثم أرسل الى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف أن كان عنده دحية فكتب قيصر اليه يثنيه عن

هذا العزم ويأمره أن يهبيء بإيائيا ما يلزم لزيارته فإنه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة

(كتاب المقوقس)

ووجه عليه السلام حاطب بن أبني بلتعة بكتاب الى المقوقس أمير مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فانما عليك اثم القبط ويأهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية) فأوصله له حاطب باسكندرية فلما قرأه قال مامنعه ان كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده فقال حاطب ألت تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون ددا عليهم أن يهلكهم الله حتي رفعه الله اليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يؤمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة اخرج الغائب المستور والاخبار بالنجوي وسأناظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت

رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وشباب وأهديت اليك بغلة تركبها والسلام) واحدى الجاريتين مارية التي تسرى بها عليه الصلاة والسلام وجاء منها بولده ابراهيم والاخرى أعطاهما لحسان بن ثابت ولم يسلم المقوقس

(كتاب النجاشي)

ووجه عليه السلام عمرو بن أمية الضمري بكتاب الى النجاشي ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة سلام أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصيصة فحملت بعيسى من روحه وتقضه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموا لاة على طاعته وان تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى) ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو انى أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن اعوانى بالحبشة قليل فانظرني حتى أكثر الاعوان وألين القلوب وقد عرض عمرو علي من بقي من مهاجرى الحبشة الرجوع الى رسول الله بالمدينة وكان من المهاجرين أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج عبيد الله بن جحش الذي كان أسلم وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتتصر فتزوج عليه السلام أم حبيبة وهى بالحبشة والذي زوجها له النجاشي بتوكيل منه عليه السلام

(كتاب كسرى)

ووجه عليه السلام عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب الى كسري ملك
الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم
فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول
الله الى الناس كافة لا نذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم
فان أبيت فانما عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ولما
بلغه عليه السلام ذلك قال (مزق الله ملكه كل ممزق) وقد فعل فكانت
مملكته أقرب الممالك سقوطاً وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فأرسل لعامله باليمن
أن يوجه الى الرسول من يأتي به اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقته
له ثم أرسل لعامله اليمن ينهائهما أمره به أبوه

(كتاب المنذر بن ساوى)

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر بن ساوى
ملك البحرين يدعوه فيه الى الاسلام وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم سلم أنت
فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان من صلى صلاتنا واستقبل
قبلتنا وكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول من أحب ذلك من
المجوس فانه آمن ومن أبى فان عليه الجزية) فأسلم وكتب في رد الجواب
(أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب
الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث

الى في ذلك أمرك) فكتب اليه عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فاني أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا واني شفعتك في قومك فانرك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية)
(كتاب ملكي عمان)

ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان وفيه) بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لا نذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكموا ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما فان ملككما زائل وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما)

فلما دخل بناديهم عمر وسأله عبد بن الجلندي عما يأمر به الرسول وينهى عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا

حتى تؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير
 تابعا قال عمرو ان أسلم أخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذ الصدقة من
 غنيهم فردها على فقيرهم فقال عبد ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبره بما
 فرض الله من الصدقات في الاموال ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من
 سوائهم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه قال نعم فقال عبد والله ما أرى
 قومي على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً أوصل عمر الاخيه
 جيفر فتكلم معه عمرو بما لآن قلبه حتى أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات
 (كتاب هوذة بن علي)

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العامري بكتاب الى هوذة بن علي ملك اليمامة
 وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على
 من اتبع الهدى وأعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخلف والحافر فأسلم تسلم
 وأجعل لك ماتحت يديك) فلما جاء الكتاب كتب في رده (ما أحسن
 ماتدعوا اليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل
 لي بعض الامر أتبعك) ولما بلغ ذلك رسول الله قال لو سألتني قطعة من الارض
 ما فعلت باد وباد ما في يديه فلم يلبث أن مات منصرف الرسول صلى الله عليه
 وسلم من فتح مكة وكان عليه السلام يولى على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم
 (السنة السابعة غزوة خيبر)

وفي محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهز لغزو يهود خيبر الذين
 كانوا أعظم مہيج للاحزاب ضد رسول الله في غزوة الخندق والذين لا يزالون

مجتهدين في مخالفة الاعراب ضد رسول الله كما قدمنا ذلك في قصة كعب بن الاشرف وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله من الاعراب الذين كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم فقال عليه السلام لا تخرجوا معي الارغبة في الجهاد أما الغنيمة فلا أعطيكُم منها شيئا وأمر مناديا ينادى بذلك ثم خرج عليه السلام بعد أن ولى على المدينة سباع بن عرفة الفقاري وكان معه من أزواجه أم سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء فقال عليه السلام (ارفعوا بانفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت حصون خيبر ثلاثة منفصلاً بعضها عن بعض وهي حصون النظاة وحصون الكثيبة وحصون الشق والاولى ثلاثة حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن أبي وحصن البرى والثالثة ثلاثة حصون حصن القموص وحصن الوطيح وحصن السلام فبدأ عليه السلام بحصون النظاة وعسكر المسلمون شرقيها بعيداً عن مدى النبل وأمر عليه السلام أن يقطع نخلمهم ليرهبهم حتى يسلموا فقطع المسلمون نحو أربع مائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع ثم ابتداء القتال مع حصن ناعم بالمراماة وكان لواء المسلمين بيد احد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم شيئاً وفيه مات محمود بن مسلمة اخو محمد بن مسلمة وصار عليه السلام يفتدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف على العسكر احد المسلمين حتى اذا كانوا في الليلة السابعة ظفر حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب يهودى خارج في جوف الليل فأتى به رسول الله عليه السلام ولما

أدرك الرجل الرعب قال ان امتموني أدلكم على أمر فيه نجاكم فقالوا دلنا
فقد أمناك فقال ان أهل هذا الحصن أدركهم الملل والتعب وقد تركتهم
يعثون بأولادهم الى حصن الشق وسيخرجون لقتالكم غدا فاذا فتح عليكم
هذا الحصن غدا فاني أدلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات (١) ودروع
وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون فانكم تنصبون المنجنيق ويدخل
الرجال تحت الدبابات فينقبون الحصن فتفتحه من يومك فقال عليه السلام لحمد
ابن مسلمة سأعطي الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحباؤه فبات المهاجرون
والانصار كلهم يتمنونها حتي قال عمر بن الخطاب ما غنيت الامارة الا ليلتشد
فلما كان الغد سأله عليه السلام عن علي بن أبي طالب فقيل له انه أرمد فأرسل من
يأتيه به ولم اجاء فقل في عينيه فشفاهما الله كان لم يكن بهما شيء ثم أعطاه الراية
فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودى
يطلب البراز فقتله على ثم خرج مزحج وهو اشجع القوم فألقه برفيقه فخرج
أخوه ياسر فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون على اليهود حتي كشفوهم
عن مواقعهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة وانهمز الاعداء الى الحصن الذي
يليه وهو حصن الصعب وغنم المسلمون من حصن ناعم كثير امن الخبز والتمر ثم
تبعوا اليهود الى حصن الصعب فقاتل عنه اليهود قتالا شديدا حتي رد عنه المسلمون
ولكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالا شديدا حتي هزموا اليهود
فتبعوهم حتى افتتحوا عليهم الحصن فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه
السلام مناديا يقول كلوا واعلموا اداؤكم ولا تأخذوا شيئا ثم ان الذين انهزموا من

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبونه وهم جوفها

هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم ثلاثة أيام حتى
استصعب عليهم فتحه وفي اليوم الرابع دهم يهودى على جداول الماء التي يستقى
منها اليهود فمنعوها عنهم فخرجوا وقتلوا قتالا شديدا انتهى بهزيمتهم الى
حصون الشق فتبعهم المسلمون وبدؤوا بالحصن أبى فخرج أهله وقتلوا قتالا
شديدا أبلى فيه أبو دجانة الانصارى بلاء حسنا حتى تمكن من دخول الحصن
عنوة ووجد المسلمون فيه أثانا كثيرا ومتاعا وغنما وطعاما وهرب المنهزمون منه
الى حصن البرى فمنعوا به أشد المنع وكان أهله أشد اليهود درميا بالنبل والحجارة
حتى أصاب رسول الله بعض منه فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقم في قلب أهله
الرب وهربوا منه من غير عناء شديد فوجد فيه المسلمون أواني لليهود من نحاس
وفخار فقال عليه السلام اغسلوها واطبخوا فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو الى
حصون الكثيبة وبدؤوا بالحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله على
يد علي بن أبي طالب ومنه سييت صافية بنت حيي بن أخطب ثم سار المسلمون
لحصار حصن الوطيح والسلام فلم يقاوم أهلها بل سلموا طالبين حقن دمائهم
وان يخرجوا من أرض خيبر بنذر اريهم لا يصطحب الواحد منهم الا ثوبا واحدا على
ظهره فأجابهم رسول الله الى ذلك وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع
وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحنفان التوراة
فسلموها لطلبها وقد أمر عليه السلام بقتل كنانة بن أبي الحقيق لانه أنكر حلى
حيي بن أخطب وقدها عليها المسلمون فوجدوا فيها أساور ودما لج وخلاخيل
وقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمردود وغير ذلك

(هذا) والذين استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسة عشر رجلا وقتل من

اليهود ثلاثة وتسمون رجلا وفي هذه الغزوة أهدت إحدى نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها حيث أعلم أنها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجىء له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة فسألها عن سبب ذلك فأجابت قلت إن كان نبيا لن يضره وإن كان كاذبا أراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

(زواج صفية)

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حمي سيد بنى النضير وأصدقها عتقها وقد أسلمت رضى الله عنها فشرفت بأمومة المؤمنين (انتهى عن نكاح المتعة)

(ونهى) عليه السلام وهو بخير عن نكاح المتعة وهي النكاح لا جمل وقد كان حلا في الجاهلية واستعمل في بدء الاسلام حتى حرمه الشرع في هذه السنة (ونهى) كذلك عن أكل لحوم الحمر الاهلية فأكفأ المسلمون قدورها بعد أن نصبت ولم يطعموها

(رجوع مهاجرى الحبشة)

(وحين) رجوع المسلمين من خير قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب ومعه الاشعريون أبو موسى وقومه بعد أن أقاموا فيها نحو من عشرين آمين مطمئين وفرح عليه السلام بمقدمهم فرحا عظيما وأعطى للاشعريين من منافع الحصون المفتوحة صلحا وكان مع جعفر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين (وقدم) في هذا الوقت على النبي عليه السلام الدوسيون اخوان أبي هريرة رضى الله عنه وهو معهم فأعطاهم أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فتح فذك)

وبعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطلب من يهود فذك (١) الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم ويتركوا الاموال وكانت أرض فذك هذه لرسول الله خاصة ينفق منها على نفسه ويعول منها صغير بني هاشم ويزوج منها أيتهم (صلح تباء)
ولما بلغ يهود تباء (٢) ما فعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين مطمئنين

(فتح وادي القرى)

ثم دعا عليه السلام يهود وادي القرى الى الاستسلام فأبوا وقتلوا أوقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحد عشر رجلا وغنموا منهم مغانم كثيرة خمسها عليه السلام وترك الأرض في أيدي أهلها يزعمونها بشر ما يخرجون منها وكذلك صنع بارض خيبر وكان يرسل اليهم عبد الله بن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديدا عليهم فأرادوا أن يرشوه فقال لهم يا أعداء الله تعطوني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولا تتم أبغض الى من القردة والخنازير ولا يعملني بغضي إياكم وحببي إياه على أن لا أعذل هذا وبانقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة ارتاح المسلمون من شر عدو كان يترصص بهم الدوائر مهما كان بين الفريقين من اليهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين
اسلام خالد ورفيقه

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح الميين اسلام ثلاثة طالما كانت

(١) حصن قريب من خيبر على ست ليال من المدينة (٢) قرية على ثمان مراحل من المدينة

لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم خالد بن الوليد المخزومي وعمر بن العاصي السهمي وعثمان بن أبي طلحة العبدري فسر بهم عليه السلام سروراً عظيماً وقال لخالد (الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك الا الى خير) فقال يا رسول الله ادع الله لى أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهد ها عليك فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ما قبله)

﴿ سرية ﴾

وفي شعبان بلغه عليه السلام أن جماً من هوازن بترية (١) يظهر ونعداوة للمسلمين فأرسل لهم عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً فسار اليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا فلم يجدوها عمر أحداً فرجع

(سرية)

(ثم) أرسل بشير بن سعد الانصاري لقتال بني مرة بناحية فدك فلما ورد بلادهم لم ير منهم أحداً فأخذ نعمهم أما القوم فكانوا في الوادي فجاءهم الصريخ فأدركوا بشيراً ليلاً وهو راجع فتراموا بالنبل ولما أصبح أصبح الفريقان قتلاً شديداً حتى قتل غالب المسلمين وجرح بشير جرحاً شديداً حتى ظن أنه مات ولما انصرف عنه العدو تحامل حتى جاء الى رسول الله وأخبره الخبر (وفي) رمضان أرسل عليه السلام غالب بن عبيد الله الليثي إلى أهل الميعة (٢) في مائة وثلاثين رجلاً فساروا حتى هجموا على القوم فقتلوا بعضاً وأسروا آخرين وفي أثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين ولما رأى المشرك الموت في يد أسامة تشهد فظن أسامة أن عدوه إنما قال ذلك تخلصاً فقتله ولما رجع المسلمون

(١) واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها

(٢) على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد

(١٨٠)

إلى المدينة وأخبر عليه السلام بفعله أسامة قال أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله فكيف
تصنع بلا إله إلا الله قال يا رسول الله أما قالها متعوذاً من القتل قال عليه السلام
فها شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال يا رسول الله استغفر لي قال عليه
السلام فكيف بلا إله إلا الله فما زال يكررها حتى تمنى أسامة أنه لم يسلم قبل ذلك
اليوم وأنزل الله في ذلك في سورة النساء (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام إست
مؤمناً بئتنا عن عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ثم أمر عليه السلام أسامة
أن يعتق رقبة كفارة لأنه قتل خطأ

(سرية)

(وفي) شوال بلغه عليه السلام أن عيينة بن حصن واعد جماعة من غطفان
كانوا مقيمين قريياً من خير بأرض اسمها يمن وجبار للاغارة على المدينة فأرسل
لهم بشير بن سعد في ثلاثمائة رجل فساروا إليهم يكمنون النهار ويسرون الليل حتى
أتوا محلهم فأصابوا نعماً كثيرة وتفرق الرعاء فأخبروا قومهم ففزعوا ولحقوا بعلينا
بلادهم وأم يظفر المسلمون إلا برجلين أسلما ثم رجعا بالغنائم إلى المدينة

﴿ عمرة القضاء ﴾

لما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بمن صدمعه فيه يقضي
عمرته واستخلف على المدينة أباذر الغفاري وساق معه الهدي ستين بدنة وأخرج
معه السلاح حذراً من غدر قريش وكان معه مائة فرس عليها بشير بن سعد وأحرم
عليه السلام من باب المسجد المدني ولما انتهى إلى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه فقبل
يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا تحمله فقال عليه السلام لا ندخل

الحرم به ولكن يكون قريباً منا فانها جناها نج فزعنا له فلما كان بحر الظهر ان
قابله نفر من قريش ففزعوا من هذه العدة وأسرعوا الى قومهم فأخبروهم فجاءه
فتيان منهم وقالوا والله يا محمد ما عرفت بالغدر صغيراً ولا كبيراً وإننا لم نحدث حدثاً
فقال اننا لا ندخل الحرم بالسلاح ولما حان وقت دخوله مكة خرج أهلها
كارهين رؤية المسلمين يطوفون بالبيت فدخل عليه السلام وأصحابه متوشحين
سيوفهم من ثنية كداء وأمامه عبد الله بن رواحة يقول لا إله الا الله وحده صدق
وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وطاف عليه السلام بالبيت
وهو على راحلته واستلم الحجر بحجته وأمر أصحابه أن يسرعوا ثلاثة أشواط
إظهاراً للقوة لأن المشركين قالوا سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حتى يئرب
فقال عليه السلام رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة واضطبع عليه السلام بردائه
وكشف عضده اليمنى شأن الفتوة وفعل مثله المسلمون وقد أتم المسلمون طوافهم
بالبيت آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين كما رأى عليه السلام في منامه

(زواج ميمونة)

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج
عمه حمزة بن عبد المطلب شهيداً أحد وخالة عبد الله بن العباس وهي آخر نسائه
زواجا ولم يدخل بها الا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف (١) ولما خرج
عليه السلام أمر الذين كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع
عليه السلام الى المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله به من تصديق رؤياه

(السنة الثامنة)

﴿ سرية ﴾

وفي صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح وهم قوم من العرب يسكنون بالسكديد (١) فسار القوم حتى إذا كانوا بقديد اتقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء وكان خصماً لدوداً للمسلمين فأسروه فقال لهم ما جئت إلا للإسلام فقالوا له إن تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة ولا استوثقنا منك ثم ساروا حتى وصلوا محلة بني الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الصريخ إلى القوم فجاءهم ما قبل لهم به ولكن من الله على المسلمين فأرسل سيلاً شديداً حال بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرُونَ على ردها

« سرية »

ولما رجع غالب إلى المدينة ظافراً أرسله عليه السلام في مائتي رجل ليقصص من بني مرة بفدك وهم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد فساروا حتى إذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تخالفوا لي أمراً فإنه لا رأي لمن لا يطاع) ثم آخى بين الجند فقال يا فلان أنت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق أحد منكم زميله وإياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدري فإذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا وجر دوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحدوا استاقوا النعم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعة

﴿ سرية ﴾

(وفي) ربيع الاول أرسل عليه السلام كعب بن عمير النخاري الى ذات
 اطلاق من ارض الشام في خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كثيراً فدعواهم الى
 الاسلام فلم يجيبوا وقتلوا وكانوا أكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم
 إلا رئيسهم كعب بن عمير فانه نجا وأتى بالخبر الى رسول الله فشق عليه وأراد أن
 يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه أنهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك
 (غزوة مؤتة)

جهز عليه السلام في جمادى الاولى جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن
 عمير الا زدي رسوله الى أمير بصري وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال لهم ان أصيب
 فلا مير جعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبداً لله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة
 آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به (فزوا باسم الله فقاتلوا
 عدواً لله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجلاً في الصوامع معتزلين فلا تعرضوا
 لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا
 بناء) ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا مؤتة (١) مقتل الحارث بن عمير وهناك
 وجدوا الروم قد جمعوا لهم جماعاً عظيماً منهم ومن العرب المنتصرة فتفاوض رجال
 الجيش فيما يفعلونه أيرسلون لرسول الله يطلبون منه مدداً أم يقدمون على الحرب
 فقال عبدالله بن رواحة يا قوم والله ان الذي تكرهون هو ما خرجتم له خر جثم
 تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل بقوة ولا بكثرة ما نقاتل الا بهذا الدين الذي أكرمنا
 الله به فاما هي احدى الحسينين إما الظهور وإما الشهادة فقال الناس صدق والله ابن
 رواحة ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضي

الله عنه حتى استشهد فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وهو يقول

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنأ ذابها كفرة بعيدة أنسابها

على إذ لا قيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه فأخذ الراية عبد الله بن رواحة
فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائفة أولا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنة مالى أراك تكرهين الجنة
قد طالما كنت مطمئنة هل أنت الانظفة في شنة

ثم اقتحم بفرسه المعمة ولم يزل يقاتل رضى الله عنه حتى استشهد فهم
بعض المسلمين بالرجوع الى الوراء فقال لهم عقبة بن عامر يا قوم يقتل الانسان
مقبلا خير من أن يقتل مدبرا فتراجعوا واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد
ابن الوليد وبهمته ومهارته الحربية حتى هذا الجيش من الضياع اذا ما تفعل
ثلاثة آلاف بمائة وخمسين الفا فانه لما أخذ الراية قاتل يومه قتالا شديدا وفي
غده خالف ترتيب العسكر فجعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة
والميسرة ميمنة فظن الروم أن المدد جاء للمسلمين فرعبوا ثم أخذ خالد الجيش
وصار يرجع الى الوراء حتى انحاز الى مؤنة ثم مكث يناوش الاعداء سبعة
أيام ثم تحاجز الفريقان لان الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين وخافوا
أن يجرؤهم الى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص وبذلك انقطع القتال
وقد نعي النبي صلى الله عليه وسلم زيدا وجعفرنا وابن رواحة للناس قبل أن

يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وكانت عينا رسول الله تذر فان تم قال حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم وجاءه رجل فقال يا رسول الله ان نساء جعفر يبكين فأمره أن ينهالن فذهب الرجل ثم أتى فقال قد نهيتهن فلم يطمعن فأمره فذهب ثانيا ثم جاء فقال والله لقد غلبنا فقال له عليه السلام احث في أفواههن التراب ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم يا فرار فقال عليه السلام بل هم الكرار : ظن المقيمون بالمدينة أن انجياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراهم أن ذلك من مكايد الحرب وأثنى على خالد في مهارته ﴿سرية﴾

وفي جمادى الآخرة بلغه عليه السلام أن جمعا من قضاة يتجمعون في ديارهم وراء وادى القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلحقوا عمرا قبل أن يصل الى القوم وقد أراد رجال من الجيش ايقاد نار فمنعهم عمرو فأنكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر انما بعثه رسول الله علينا رئيسا لمعرفة بالحرب أكثر منا فلا تمصه فامتلأ ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الأعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع آثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا الى المدينة ظافرين وبيناهم في الطريق أدركت عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما أصبح قال ان أنا اغتسلت هلكت والله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى اذا وصلوا المدينة قام رسول

الله عليه السلام يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته فأخبروه بما تقدموه من عمرو بن العاص من نهيهم عن إيقاد النار ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنباً فسأله عليه السلام عن ذلك فقال منعهم من إيقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ونهيهم عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين وصليت جنباً لأن الله يقول (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وإن أنا غتسلت هلكت فتبسم عليه السلام وأثنى على عمرو خيراً

(سریة)

وفي رجب أرسل عليه السلام أباعبيدة عامر بن الجراح في ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التي تسكن ساحل البحر وزود عليه السلام هذا الجيش جراباً من التمر فساروا حتى إذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فني زادهم حتى أكلوا الخبط وهو ورق السمر يبلونه بالماء ويأكلونه إلى أن تفرحت أشداقهم وكان في القوم الكريم ابن الكريم قيس بن عباد فنحر لهم ثلاث جزر في كل يوم جزور وفي اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهأ رئيسه أبو عبيدة لأن قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فغاف أبو عبيدة أن لا يفى له أبوه بما استدان فقال قيس أترى سعداً يقضى ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديناً استدته لقوم مجاهدين في سبيل الله ولما يشؤا من لقاء عدوهم رجعوا إلى المدينة فقال قيس بن سعد لابي كنت في الجيش فجاؤا قال انحر قال نحرته قال ثم جاؤا قال انحر قال نحرته قال ثم جاؤا قال انحر قال نحرته قال ثم جاؤا قال انحر قال نحرته

(غزوة الفتح الاعظم)

إذا أراد الله أمراً هياً أسبابه وأزال موانعه فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذلل العرب حتى تذلل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهد التي أعطاه قريشا في الحديبية وهو سيد من وفي ولكن إذا أراد الله أمراً هياً أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت في عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كملت نارها بظهور الاسلام فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مسمع من رجل خزاعي فقام هذا وضربه فحرك ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر نارهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليايهم من قريش فاعانواهم سرا بالعدة والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو على العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الامين أرسلوا منهم وفد برياسة عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش فلما حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال والله لا منعكم مما أمتع نفسي منه أما قريش فانهم لما رأوا أن ما عملوه نقض للعهد التي أخذت عليهم ندموا علي ما فعلوا وادادوا مداواة هذا الجرح فأرسلوا قائدهم أباسفیان بن حرب الى المدينة ليشد العقدي يزيد في المدة فركب راحلته وهو يظن أنه لم يسبقه أحد حتى اذا جاء المدينة نزل علي ام المؤمنين أم حبيبة بنته وقد أراد أن يجلس علي فراش رسول الله فطوته عنه فقال يا بنية أرغبت به عني أم رغبت بي عنه فقالت ما كان لك أن تجلس علي فراش رسول الله وأنت مشرك نجس فقال لقد اصابك بغدى شر ثم خرج من عندها وأتى النبي في المسجد وعرض عليه

ماجاء له فقال عليه السلام هل كان من حدث قال لا فقال عليه السلام فنحن
 على مدتنا وصلحنا ولم يزد عن ذلك فقام أبو سفيان ومشى الى أكابر المهاجرين
 من قريش عليهم يساعدون على مقصده فلم يجد منهم معينا وكلهم قالوا جوارنا
 في جوار رسول الله فرجع الى قومه ولم يصنع شيئا فاتهموه بأنه خانهم واتبع
 الاسلام فتنسك عند الاوثان لينفى عن نفسه هذه التهمة (أما) رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فتجهز للسفر وأمر أصحابه بذلك وأخبر الصديق بالوجهة
 فقال له يا رسول الله أوليس بينك وبين قريش عهد قال نعم ولكن غدروا
 ونقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة وقال من كان
 يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة فقدم جمع من قبائل أسلم
 وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وطوى عليه السلام الاخبار عن الجيش كيلا
 يشيع الامر فتعلم قريش فتستعد للحرب والرسول عليه السلام لا يريد أن
 يقيم حربا بمكة بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحرمتها فدعا مولا له جل
 ذكره وقال (اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبقتها في بلادها)
 فقام حاطب بن أبي بلتعة أحد الذين شهدوا بدرا وكتب كتابا لقريش يخبرهم
 ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع جارية لتوصله الى قريش
 على جمل فأعلم الله رسوله ذلك فأرسل في أثرها عليا والزبير والمقداد وقال
 انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا
 حتى أتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقالوا لها أخرجي الكتاب قالت مامني
 كتاب فقالوا لتخرجي الكتاب أولنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فاتوا
 به رسول الله فقال عليه السلام يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تمجل علي

انى كنت حليفا لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم
 قرابات يحمون أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن
 أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر
 بعد الاسلام فقال عليه السلام أما انه قد صدقكم فقال عمر دعنى يا رسول الله
 أضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من
 شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم وفى ذلك أنزل الله سورة المتحنة
 (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد
 كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن
 كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالموودة وأنا أعلم بما
 أخفيتم وما أعلمتم ومن يفعلهم منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم سار عليه السلام
 بهذا الجيش العظيم فى منتصف رمضان بعد أن ولى على المدينة ابن أم مكتوم
 وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد ولما وصل النبأ لقيه اثنان كانا من
 أشد أعدائه وهما ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شقيق عبيدة بن
 الحارث شهيد بدرو صهره عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة شقيق زوجه أم سلمة وكانا
 يريدان الاسلام فقبلهما عليه السلام وفرح بهما شديداً وفرح وقال (لا تثريب
 عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام الكديد
 رأى ان الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر هو أيضاً وقد قابل عليه
 السلام فى الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً باهله وعياله فأمره ان يعود
 معه الى مكة ويرسل عياله الى المدينة ولما وصل عليه السلام من الظهر ان أمر بايقاد
 عشرة آلاف نار وكان قريش قد بلغهم ان محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدرى

وجهته فأرسلوا أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون
الخبر عن رسول الله فأقبلوا يسرون حتى أتوا مر الظهران فاذا هم بنيران كأنها
نيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذه لكانها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء
نيران بني عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فراحهم ناس من حرس رسول
الله فادر كورهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله فأسلم أبو سفيان فلما سار قال
للعباس احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس
فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالي ولها
حتى اذا مرت به قبيلة الانصار وحامل رايتها سعد بن عباد فقال سعد يا أبا
سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم
الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيها رسول الله وأصحابه وحامل
الراية الزبير بن العوام فأخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد فقال عليه السلام
كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ثم
أمر عليه السلام ان تركز رايته بالحجون (١) وأمر خالد بن الوليد أن يدخل
من أسفل مكة من كدى (٢) ودخل هو من أعلاها من كداء ونادى مناديه
من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل
دار أبي سفيان فهو آمن وهذه أعظم منة له واستثنى من ذلك جماعة عظمت
ذنوبهم وآذوا الاسلام وأهله عظيم الاذى فاهدر دمهم وان تعلقوا باستار
الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي أسلم وكتب لرسول الله الوحي

(١) جبل بمحلة مكة (٢) كدى كقوى جبل مسفلة مكة على

طريق اليمن وكداء كسحاب جبل بأعلى مكة

ثم ارتد واقترب الكذب على الامين المأمون فكان يقول ان محمدا كان
يامرني أن أكتب عليهم حكيم فاكتب غفور رحيم فيقول كل جسد ومنهم
هكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وهبار بن الاسود والحارث بن هشام
وزهير بن ابي أمية وكعب بن زهير ووحشى قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي
سفيان وقليل غيرهم ونهى عن قتل واحد سوى هؤلاء إلا من قاتل فاما جيش
خالد بن الوليد فقابلته الذعر من قریش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة
وعشرين وقتل من جيشه اثنتان ودخلها عنوة من هذه الجهة واما جيش رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادف مانعا وهو عليه السلام راكب راحلته منحني
على الرحل تواضع الله وشكر الله على هذه النعمة حتى تسكاد جبهته تس الرحل
وأسماء بن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى
وصل الى الجحون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها أم سلمة وميمونة
فاستراح قليلا ثم ساروا بجانبه أبو بكر يحاذيه وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت
وطاف سبعا على راحلته واستلم الحجر بحجته وكان حول الكعبة اذذاك ثلاثمائة
وستون صنما فجعل عليه السلام يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل
وما يبدىء الباطل وما يعيدتم أمرا بالآلهة فأخرجت من البيت وفيها صورة
اسماعيل وابراهيم في أيديهما الا زلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا
ما استقسموا قط وهذا أول يوم ظهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة
وبطهرة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الادناس
سقطت عبادة الاوثان من جميع بلاد العرب الا قليلا ويوشك ان نذكر للقارىء
اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكافية

(العفو عند المقدرة)

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر في نواحيها ثم خرج الى
 مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس في المسجد والناس حوله
 والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركى قريش الذين آذوه وأخرجوه
 من بلاده وقتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق التى يلزم أن يتعلم منها المسلم
 أن يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس فقال عليه السلام يا معشر قريش
 ما تظنون أنى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام
 اذهبوا فانتم الطلقاء ويرحم الله الامام ابو بصيرى حيث قال

واذا كان القطع والوصل لله	تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه	من سره الملام والاطراء
ولو أن انتقامه لهوى النف	س لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فأرضى لله	منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينض	ح الا بما حواه الاناء

ثم خطب عليه السلام خطبة أبان فيها كثيراً من الاحكام الاسلامية منها
 أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها
 أو خالتها واليمنية على من ادعى واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة
 أيام إلا مع ذى محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ولا يصام يوم الاضحى ويوم
 الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء
 والناس من آدم وادم من تراب ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
 وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم

خبير) ثم شرع الناس بيلاعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ومن
أسلم في هذا اليوم مغاوية بن أبي سفيان وأبو جحافة والصديق وقد فرح الرسول
كثيراً بالسلامه وجاءه رجل يرتعد خوفاً فقال له عليه السلام (هون عليك فاني
لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فممنهم
من حقت عليه كلمة العذاب قتل ومنهم من أدر كته عناية الله فأسلم فعبد الله بن
سعد بن أبي سرح لجأ الى أخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه أن يستأمن له
رسول الله فبقيبه عثمان حتى هدا الناس ثم أتى به النبي وقال يا رسول الله قد أمنت
فبإيمه فأعرض عنه عليه السلام مراراً ثم بإيمه فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه
السلام أعرضت عنه ليقوم اليه أحدكم فيضرب عنقه فقالوا هلا أشرت اليه فقال
لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين وأما عكرمة بن أبي جهل
فهرب فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت
قد أسلمت قبل الفتح وقد أخذت له أماناً من رسول الله فلاحقته وقد أراد أن يركب
البحر فقالت جثثك من عند أبر الناس وخيرهم لا تهلك نفسك واني قد استأمنتك لك
فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائماً فرحابه وقال مرحباً بمن جاء نامهاجر مسلماً
ثم أسلم رضي الله عنه وطلب من رسول الله أن يستغفر له كل عداوة عاداه إياها
فاستغفر له وكان رضي الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغيرهم على الاسلام
وأما هبار بن الاسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله بالجرمارة (١)
جاءه مسلماً وقال يا رسول الله هربت منك وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت

(١) موضع بين مكة والطائف وبمضهم يضبطه بسكون الميم وفتح الراء مخففة

عائدتك وصلتك وصفيك عن جهل عليك وكنيا رسول الله أهل شرك ضدانا
الله بك وأنقذنا من الملكة فاصنع الصنيع الجليل فقال عليه السلام قد غفوت
عنك (وأما) الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية الخزومي فأبطوناها
أم هانئ بنت أبي طالب فأجاز عليه السلام جوارها ولما قابل رسول الله
الحارث بن هشام مسلما قال له الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا مثلك نجمل الاسلام
وقد كان بعد ذلك من فضلاء الصحابة (وأما) صفوان بن أمية فلحقني
وأراد أن يذهب ويلقى نفسه في البحر فجاءه ابن عمه عمير بن وهب الجمحي
وقال يا بني الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه
فانك قد أمنت الاحمر والاسود فقال عليه السلام أدرك ابن عمك فهو آمن
فقال أعطني علامة فأعطاه علامته فأخذها عمير حتى اذا لقي صفوان قال له
فذاك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير
الناس وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملككم ملكك قال صفوان
اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه الهامة علامة الامان
فرجع الى رسول الله وقال له ان هذا يزعم انك أمنتني قال صدق قال امهني
يا خيلار شهر بن قال اربعة أشهر ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه (وأما) هند
بنت حبة فاخفت ثم أرسلت وجاءت الى رسول الله فرحب بها وقالت له والله
يا رسول الله ما كان على ظم الارض أهل خباء أحب الي أن يذلوا من أهل خبائك
ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أحب الي أن يمزوا من أهل خبائك
(وفود كعب بن زهير)

(وأما) كعب بن زهير فلما ضاقت به الارض ولم يجد له مجرا اجاء المدينة بعد

ان قدمها رسول الله من مكة فاسلم وأنشد قصيدته التي يقول فيها
وقال كل صديق كنت آمله لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته يوماً على آلة حدياء محمول
أنبت أن رسول الله أوعدني والعفو عن رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك ناقة الا قرآن فيها موايعظ وتفصيل
(وقال فيها مادحاً)

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول برده (وأما) وحشي قاتل حزة
فكذلك أسلم وحسن اسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام وقد جاءه ابنا أبي
لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه السلام
وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه
عليه السلام وقال ان سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام
فلما بلغت هذه المقالة سهيلاً قال كان والله براً صغيراً براً كبيراً ثم أسلم بعد ذلك
(بيعة النساء)

هذا ولما تمت بيعة الرجال بآيمه النساء وكن يبايعن على أن لا يشركن بالله
شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بيهتان يفتريه
بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف (ثم) أمر عليه السلام
بلا لا أن يؤذن على ظهر الكعبة وهذا بدء ظهور الاسلام على ظهر البيت
الكريم فلا عجب أن اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حق حمده

على هذه النعمة الكبرى والتضر العظيم
وأقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها الصلاة وولي
عليها عتاب بن اسيد وجعل رزقه كل يوم درهما فكان عتاب رضى الله عنه
يقول لا أشبع الله بطناً جاع علي درهم كل يوم
(هدم العزى)

(وفي الخامس) من مقامه عليه السلام بمكة أرسل خالد بن الوليد
في ثلاثين فارساً لهدم هيكل العزى وهي أكبر صنم لقريش وكان هيكلها
يظن نخلة فتوجه إليها خالد وهدمها
(هدم سواع)

(وأرسل عليه السلام) عمرو بن العاص لهدم سواع وهو أعظم صنم لحدليل
وهيكله على ثلاثة أميال من مكة فذهب إليه وهدمه
(هدم مناة)

(وبعث) سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً لهدم مناة وهي صنم
للكلب ومخزاعة وهيكلها بالمثل وهو جبل على ساحل البحر يبط منه إلى قديد
فتوجهوا إليها وهدموها
(غزوة حنين)

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الاوثان دانت للإسلام جموع العرب
ودخلوا فيه أفواجاً أما قبيلتا هوازن وقحيف فأدركتهما حمية الجاهلية واجتمع
الاشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا نهاية له عنا
فلنمزه قبل أن يعزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف

النضرى فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان
رسول الله مستترضاً فيهم وكان في القوم دريد بن الصمة المشهور
باصالة الرأي وشدة البأس في الحرب ولتقدم سنه لم يكن له في هذه الحرب الا
الرأي ثم اب مالک بن عوف أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءهم وذرايرهم
وأموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب فقال سقت مع
الناس أموالهم وذرايرهم ونساءهم لاجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل
عنه فقال دريد وهل يرد المنزهم شيء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه
وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فلم يقبل مالک مشورته وجعل
النساء صفوفا وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من
المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما بلغه أن هوازن وثقيف
يستعدون لحربه أجمع رأييه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غاز
منهم ألفان من أهل مكة والباقيون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل
مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الفنائم وخرج
في الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ولما
قرب الجيش من معسكر العدو وصف عليه السلام الغزاة وعقد الألوية فأعطى
لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الاوس
لاسيد بن حضير وكذلك أعطى ألوية لقبائل العرب الاخرى ثم ركب
عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر هذا وقد أعجب المسلمون
بكثرتهم فلم تكن عندهم شيئا فان مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو وخرج لهم
كمين كان مستترا في شعاب الوادي ومضايقه وقابلهم بنبل كانه الجراد المنتشر

فلووا أخته خيلهم متقهقرين ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم في الهزيمة لما لحقتهم
من الدهشة أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت على بقلته في ميدان القتال
وثبت معه قليل من المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس
وابنه الفضل وأبوسفيان بن الحارث واخوه ربيعة بن الحارث ومعتب بن أبي
لهب وكان العباس آخذاً بلجام البغلة وأبوسفيان آخذاً بالركاب وكان عليه السلام
ينادي الى أيها الناس ولا يلوي عليه أحد وضاعت بالمنهزمين الارض بما رحبت
أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربة الشرك
فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار فقال أبوسفيان بن حرب لا تنتهي
هزيمتهم دون البحر وقال أخ لصفوان بن أمية الا تبطل السحر فقال له صفوان
وهو على شركه اسكت فض الله فاك والله لان يربنى رجل من قريش خير من
أن يربنى رجل من هو اذن ومر عليه رجل من قريش وهو يقول أشبههزيمة محمد
وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبداً فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرني بظهور
الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لذاك الرجل كوتهم لا يجبرونها أبداً ليس
بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان أدبيل عليه اليوم فان العاقبة له
غداً فقال سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا
على غير شيء وعقولنا ذاهبة نمبد حجرا لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعض
الغارين مكة كل هذا ورسول الله واقف مكانه يقول انا النبي لا كذب
أنا ابن عبدالمطلب ثم قال للعباس وكان جمهوري الصوت ناد بالانصار يا عباس
فنادى يا معشر الانصار يا أصحاب بيعة الرضوان فأسمع من في الوادي وصار
الانصار يقولون ليبيك ليبيك ويريد كل واحد منهم أن يلوي عنان بعيره فيمنعه

من ذلك كثرة الأعراب المنهزمين فيأخذ فخره فيقتذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بيرة ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم يروها ففكر المسلمين على عدوهم بدا واحدة فانتكت فتل المشركين وتفرقوا في كل وجه لا يلوون على شيء من الأموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذراري وأسروا كثير من المحاربين وهرب من هرب وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية الله بالمسلمين

(هذا) والذي حصل في هذه الفزوة درس معهم من دروس الحرب فإن هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب وحديثي عهد بالسلام هؤلاء سيان عندهم نصر الاسلام وخذلانه ولذلك بادروا لاول صدمة الى الهزيمة وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضل الله فلا ينبغي أن يكون في الجيش الامن يقاتل خالصا مخلصا من قلبه ليكون مدافعا حقا عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار خشية ما أعده الله للفارين من أليم العقاب

ثم أمر عليه السلام بجمع السبي والفنائم وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بغير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فجمع ذلك كله بالجرانة (أما) المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة صكرت بأوطاس (١)

لينتقوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد بمحاة بالنار حتى رجعوا
فأمر عليه السلام أن تقطع أعنانهم ونخيلهم فقطع المسلمون فيها قطعاً ذريماً فناداه
أهل الحصن أن دعها لله وللرحم فقال أدعها لله وللرحم ثم أمر من ينادى بأن
كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن فخرج إليه بضعة عشر رجلاً ولما رأي
عليه السلام أن تمنع ثقيف شديد وأن الفتح لم يؤذن فيه استشار نوفل بن معاوية
الدلي في الذهاب أو المقام فقال يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت أخذته وإن
تركت لم يضرك فأمر عليه السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو
على ثقيف فقال (اللهم اهد ثقيفا واثبت بهم مسلمين)

(تقسيم السبي)

ثم رجع عليه السلام إلى الجعرانة حيث ترك السبي فأخصاه وخمسه
وأعطى منه شيئاً كثير إلا ناس ضعف إسلامهم يتألفهم بذلك وأعطى أناساً لم يسلموا
ليحبب إليهم الإسلام ومن الأولين أبو سفيان أعطاه أربعين أوقية من الذهب
ومائة من الإبل وكذلك ابنه معاوية يزيد فقال له بأبي أنت وأمي لانت كريم
في السلم والحرب ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فأعطاه ثم
استزاده فأعطاه مثلها وقال يا حكيم (إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه
بسخاوة نفس يورث له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان
كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) فآخذ حكيم المائة الأولى
وترك ما عداها ثم قال والذي بعثك بالحق لا أرى أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق
الدينا فإن كان الخلفاء بمد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت
المال فلا يأخذه: وأعطى عليه السلام عينة بن حصن مائة من الإبل وكذلك

الاقرج بن حابس والعباس بن مرداس وأعطى صفوان بن أمية شعباً مملوئاً نساء
وشاة كان رآه يرمقه فقال له هل سببتك هذا قال نعم قال هو لك فقتل صفوان
مطاطب بجل هذا نفس أحدو كان ذلك سبب اسلامه . وكان عليه السلام يقصد
من هذه المطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم وهذا ضرب من
ضروب السياسة الدينية حتى جعل من الصدقات قسم للمؤانعة قلوبهم وقد جاهد
ذلك بفائدة عظيمة فان كثيرين ممن أعطوا في هذا اليوم لم يكونوا أشربوا
في قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من أجلاء المسلمين وأعظمهم نفعا كصفوان
ابن أمية ومعارية بن أبي سفيان والحارث بن هشام وغيرهم ثم أمر عليه السلام
زيد بن ثابت فاحصي ما بقي من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد أن اجتمع اليه
الاعراب وصاروا يقولون لما قسم علينا حتى أُلجؤا الى شجرة فتعلق ردائهم فقال
(ردوا ردائي أيها الناس فوالله إن كان لي شجر تهامة نمتا لقسمته عليكم ثم
ما ألتصمتوني بخيلا ولا جبانا ولا كيدوا) ثم قام الى بعيده وأخذ خبيرة من سنامه
وقال (أيها الناس والله مالي من غنيمةكم ولا هذه الخبيرة الا الخمس والخمس
مرهود عليكم فأهوا الخياط والمخيط فان الغلول (١) يكون على أهله عاروا
وشناروا ناراً يوم القيامة) فصار كل من أخذ شيئاً من الغنائم خطسة برده ولو كان
زهيداً ثم شرع يقسم فأصاب الرجل أربعة من الابل وأربعون شاة والفارس
ثلاثة أمثال ذلك فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فضرب
عليه السلام حتى أخرج وجهه وقال (ويحك من يدلك إذا لم أهدل) فلم يؤده
غضبه أن ينتقم لنفسه عايشه عليه السلام من ذلك بل لم يزد على أن نصيح وخنجر

وقال له عمر وخالده بن الوليد دعنا يا رسول الله نضرب عنقه فقال لالعله أن يكون
يصلى فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال صلى الله عليه وسلم
اني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق عن بطونهم ولما أعطى رسول الله
ما أعطى من تلك المطايا لقريش وقبائل العرب وترك الانصار غضب
بعضهم حتي قالوا ان هذا هو العجب يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من
دمائهم فبلغه ذلك فأمر بجمعهم وليس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال يامعشر
الانصار مامقالة بلغتني عنكم ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة (١) فاغناكم
الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ان قريشا حديثو عهد بكفر ومصيبة
واني أردت أن اجبرهم وأتألفهم اغضببتهم يامعشر الانصار في أنفسكم لشيء
قليل من الدنيا ألفت به قوم ليسوا وواو وكتكم الى اسلامكم الثابت الذي
لا يزول ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا
برسول الله الى رحلكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ
من الانصار ولوسلك الناس سبعا وسلك الانصار سبعا لسلكك شعب الانصار
اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضىنا
برسول الله قسما وحظا ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا (وفود هوازن)

وبعد بضع عشرة ليلة جاءه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن يرأسهم زهير
ابن صرد وقالوا يا رسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والمهات والخالات وهن
مخازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يا رسول الله : وقال زهير ان في الخطائر
عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ثم قال أيتها المستعطفة بها

امنن علينا رسول الله في كرم فانك المرء نرجوه وننتظر
 امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذفوك مملوءة من مخضها الدرر
 انا لنشكر للثمناء ان كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
 انا نؤمل عفوا منك نلبسه هدي البرية أن تعفوا وتنتصر
 فالبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك ان العفو مشتهر
 فقال عليه صلى الله عليه وسلم أن احب الحديث الى أصدقه فاخترنا واحدي
 الطائفتين إما السبي واما المال وقد كنت انتظر تكم حتى ظننت أنكم
 لا تقدمون فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا اردد علينا نساءنا وابناءنا
 فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال صلى الله عليه وسلم أما مالي
 ولبنى عبد المطلب فهو لكم فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن نستشفع
 برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله بعد أن تظهروا اسلامكم وتقولوا
 نحن اخوانكم في الدين ففعلوا فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه (أما بعد فان
 اخوانكم هؤلاء جاؤا تأئين وانى قدرأيت أن أرد عليهم سبيهم فمن أحب
 أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون علي حفظه حتى نعطيه إياه
 من أول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول
 الله وامتنع من ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع بن حابس وعيينة بن حصن
 والعباس بن مرداس فاخذهم الرسول منهم قرضاً وأمر صلى الله عليه وسلم بان تحبس
 عائلة مالك بن عوف النصرى رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله
 ابن أبي أمية فقال له الوفد أولئك يادتنا فقال صلى الله عليه وسلم انما أريد
 بهم الخير ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال أخبروه انه ان

جاءني مسلمات ددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما بلغ ذلك مالكا
 نزل من الحصن خفية حتى أتى رسول الله بالجرانة فأسلم وأحرز ماله وأهله
 واستعمله عليه السلام على من أسلم من هوازن
 (عمرة الجعرانة)

(ثم) ان الرسول صلي الله عليه وسلم اعتمر فأحرم من الجعرانة ودخل مكة
 بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت إقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة
 ثم أمر عليه السلام بالرحيل فصار الجيش آمناً مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين
 من ذي القعدة

وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته وأفقد سرائر
 أهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلاً تمكنه الحرب إلا ساقته ولم تترك لها بعيداً
 ولا شاة إلا جاءت به معها فأراد الله اعزاز الاسلام بمخذلان أعدائه وأخذ أموالهم
 فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع أو يدافع ولذلك يمكننا أن نقول
 ان انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الا فئات قليلة يسوقهم
 الطيش الى شهر السلاح ثم لا يلبثون أن يعمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة
 الحق الساطعة

(سرية)

ولما رجع عليه السلام الى المدينة أرسل قيس بن سعد في أربع مائة ليدعو صداة
 (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاء الى رسول الله رجل منهم فقال يا رسول الله
 اني جئتك وافداً عن ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فأمر عليه السلام برد
 الجيش

وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلا منهم فنزلوا ضيوفا على سعد بن عباد ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن لك علي من وراءنا من قومنا ولما رجعوا فشا فيهم الاسلام وقدم على رسول الله منهم مائة في حجة الوداع (سرية)

ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوي الى بني كعب من خزاعة لاخذ صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عيينة بن حصن في خمسين فارسا من الاعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدي وعشرين امرأة وثلاثين صبيا وتوجه بالكل الى المدينة فأمر عليه السلام بمحملهم في دار رملة بنت الحارث (وفود تميم)

فجاء في أثرهم وفد تميم فيه عطارد بن حاجب والبرقان بن بدر وعمرو بن الأهم فجلسوا ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت جاف يا محمد اخرج الينا تفاخرك فان مدحنا زين وان ذمنا شين فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل في أوائل سورة الحجرات (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي للصلاة فتملقوا به يقولون نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نساخرك وتفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقدم عمرو بن

الاهتم الزبير بن بدر فقال انه لمطاع في أئديته سيد في عشيرته فقال الزبير قال
 حسدني يا رسول الله لشر في وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لم من المروعة
 ضيق المعطن لئيم الخمال فروى القصب في وجه رسول الله لا اختلاف قولى
 عمرو فقال يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت
 فقلت أحسن ما علمت وغضبت قلت أسوأ ما علمت فقال عليه السلام (ان
 من البيان لسحراً) ثم أسلم القوم فرد النبي عليه السلام عليهم أسراهم وأحسن
 جائزتهم وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن ويتفقهون في الدين

(سرية)

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عتبة بن أبي معيط لآخذ صدقات بني المصطلق
 فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين سلاحهم احتفالاً بقدومه
 ومعهم لابل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون حرباً لما كان بينه وبينهم
 من العداوة في الجاهلية فرجع مسرعاً الى المدينة وأخبر الرسول ان القوم
 ارتدوا ومنعوا الزكاة فأرسل اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر فصار
 اليهم في عسكره خفية حتى اذا كان بناديهم سمع مؤذنين يؤذن بالصبح
 فأتاهم خالد فلم يروهم الاطاعة فرجع وأخبر الرسول فأرسل عليه السلام
 لهم غير الوليد لآخذ الصدقات وفي الوليد نزل في أوائل الحجرات (بالأيها
 الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا
 على ما فعلتم نادمين)

(سرية)

ثم بلغ رسول الله ان جماعة من الحبشة وآهم أهل جدة في مراكبهم

يريدون الاغارة عليها فإرسل لهم علقمة بن مجز في ثلاثمائة فذهب حتى وصل جدة ونزل في المراكب ليندر بهم وكان الإحباش متحصنين في جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمين كيذا فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتجلاوا وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعاية فاوقد لهم في الطريق نارا وقال لهم ألسنتم مأمورين بطاعتي قالوا نعم قال عزمت عليكم إلا ما تواتبتم في هذه النار فقال بعضهم ما أرسلنا إلا فرارا من النار وهم بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله وقال كنت مازجا فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)

(السنة التاسعة)

(سرية)

في ربيع الاول أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في خمسين فارسا لهدم الفلن (صنم لطيفي) فسار اليه وهدمه وأحرقه ولما حارب عباده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسبيهم وكان فيه سفانة بنت حاتم طيبي ولما رجع على الى المدينة طلبت سفانة من رسول الله أن يمن عليها فأجابها لأنه كانت من سننه أن يكرم الكرام فدعت له وكانت من دعائها (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى شيء حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سبيك لردها عليه) وكانت هذه المعاملة من رسول الله سببا في إسلام أخيها عدي ابن حاتم الطائي الذي كان فر الى الشام عند أراي الرايات الاسلامية قاصدا جلاده وكان من حديث محبته أن أخته توجهت اليه بالشام وأخبرته

بما عولمت به من الكرم فقال لها ما ترين في أمر هذا الرجل فقالت
أرى أن تلحق به سريعاً فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضل وإن يكن ملكاً
فأنت أنت قال والله هذا هو الراى

(وفود عدي بن حاتم)

فخرج حتى جاء المدينة ولقى رسول الله فقال عليه السلام من الرجل
قال عدي بن حاتم فأخذه الى بيته وبينهما عشيان اذ لقيت رسول الله امرأة
عجوز ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقال عدي والله
ما هو بملك ثم مضى رسول الله حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة
ليفاً فقدمها الى عدي وقال اجلس على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع
عليه السلام وأعطاهاله وجلس هو على الارض ثم قال يا عدي اسلم تسلم قالها
ثلاثاً فقال عدي انى على دين (وكان نصرانياً) فقال له عليه السلام انا اعلم بدينك
منك فقال عدي أأنت أعلم بديني منى قال نعم ثم عدده أشياء كان يفعلها اتباعاً
لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء كما أخذه المرباع وهو ربيع
الفنائم ثم قال يا عدي انما يمنعك من الدخول في الدين ما ترى تقول انما اتبعه
ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن
المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولملك انما يمنعك من الدخول
فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة قال لم أرها وقد
سمعت بها قال فوالله ليتمن هذا الامر حتى نخرج المرأة من الحيرة تطوف
بالبيت من غير جوارأحد ولملك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى الملك
والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض

بابل قد فتحت عليهم فاسلم عدى رضي الله عنه وعاش حتي رأي كل ذلك
(غزوة تبوك)

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه في
بلادهم وكان ذلك في زمن عمرة الناس وجذب البلاد وشدة الحر حين طابت النمار
والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم فامر عليه السلام بالتجهز وكان قلما يخرج
في غزوة الا وري بغيرها ليعمي الاخبار على العدو الا في هذه الغزوة فانه أخبر
بمقصده لبعده الشقة وكثرة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك وبعث الى مكة
وقبائل الاعراب يستنفرهم لذلك وحث الموسرين علي تجهيز المعسرين فاتفق عثمان
ابن عفان عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين
فرساً فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه وجاء أبو بكر
بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك
شيئاً فقال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وجاء عبد
الرحمن بن عوف بمائة أوقية وجاء العباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن
عدى بسبعين وسقامن تمر وأرسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن وجاءه
صلى الله عليه وسلم سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يطلبون اليه أن يحملهم فقال
لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا
ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم وجهز العباس اثنين وجهز يامين بن عمرو اثنين
ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون ألفاً وولى على المدينة محمد بن
مسلمة وعلى أهله علي بن أبي طالب وتخلف كثير من المناققين يرأسهم عبد الله بن
أبي وقال ينزوي محمد بنى الأصغر مع جهد الحلال والحروا البلد البعيد بحسب محمد أن

قتال بنى الاصفر معه اللعاب والله لكأنى أنظر الى أصحابه مقرنين فى الجبال
واجتمع جماعة منهم فقالوا فى حق رسول الله واصحابه ما يريدون من الارجاف
فبلغه ذلك فأرسل اليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا فقالوا انما كنا نحوض ونلعب
وجاء اليه جماعة منهم الجسد بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا يا رسول الله
ائذن لنا ولا تفتنالا نالنا من من نساء بنى الاصفرو جاء اليه المعذرون من الاعراب
وهم أصحاب الاعذار من ضعف أو قلة ليؤذن لهم فاذن لهم وكذلك استأذن
كثير من المنافقين فاذن لهم وقدمت الله عليه فى ذلك الاذن بقوله فى سورة
براءة (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)
ثم قال فى حقهم (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت
قلوبهم فهم فى ربهم يترددون) ثم كذبهم الله فى عذرهم فقال (ولوأرادوا
الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فبسطهم وقيل اقمعدوامع
القاعدین) ثم لكيلا يأسي المسلمون على قعود المنافقين عنهم قال جل ذكره
(لوخرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة
وفيك سماعون لهم والله عليهم بالظالمين) وتخلف جماعة من المسلمين لا يهتمون
فى اسلامهم منهم كب بن مالك وهلال بن أمية وصرارة بن الربيع وأبو خيثمة
ولما خلف صلى الله عليه وسلم علياً قال المنافقون قد استثقله فتركه فاسرع الى
رسول الله وشكاه له فسمع فقال صلى الله عليه وسلم (أما ترى أن تكون منى
بمنزلة هارون من موسى) ثم سار صلى الله عليه وسلم بالجيش وأعطى لواءه
الاعظم أبابكر الصديق وفى اعطاء اللواء لابي بكر آخر غزوة للرسول
وتخليف على أهل البيت حكمة لطيفة يفهمها القاري و فرقه عليه السلام

الرايات فأعطى الزبير راية المهاجرين وأسيد بن حضير راية الاوس والحباب بن المنذر راية الخزرج ولما مر الجيش بالحجروهي ديار ثمود قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه (لا تدخلوا ديار الذين ظلموا الا وانتم باكون) ليشمر قلوبهم رهبة الله وكان مستعملا على حرس الجيش عباد بن بشر وكان ابو بكر يصلى بالجيش ولما وصلوا الى تبوك وكانت أرضا لا عمارة فيها قال الرسول لمعاذ بن جبل يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا مليء بساتين وقد كان ولما استراح الجيش لحقه أبو خيشمة وكان من خبر محبته ان دخل على اهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في بستان قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاما وكان يوما شديدا الحر فلما نظر ذلك قال يكون رسول الله في الحر وأبو خيشمة في ظل بارد وماء هيا وأمرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فها إلى زادا ففعلتا ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه حين نزل بتبوك

﴿ وفود صاحب أيلة ﴾

هذا ولم ير صلى الله عليه وسلم بتبوك جيشا كما كان قد سمع فاقام هناك أياما جاءه في أثناءها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء (١) وأهل أذرح (٢) وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسلم وكتب له الرسول كتابا بهذه صورته

﴿ كتاب صاحب أيلة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يجوز ماله دون نفسه وانه لطيفة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريا يقر يدونه من برا وبحر

(كتاب أهل أذرح وجرباء)

وكتب لأهل أذرح وجرباء كتابا بصورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربيع ثمارهم (ثم ان) الرسول استشار أصحابه في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال له عمر ان كنت أمرت بالسير فقل عليه السلام لو كنت أمرت بالسير لم أستشر فقال يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفرغهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقول فرجع الجيش إلى المدينة

(مسجد الضرار)

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم إلى الرسول طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنی

والله يشهد انهم لكاذبون فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا) ولما استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من الدين تخلفوا يعتذرون كذبا فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكّل ضمائرهم الى الله واستغفر لهم

(حديث الثلاثة الذين خلفوا)

وجاءه كعب بن مالك الخزرجي ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الاوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال ما خلقتك فقال يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط علي فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغضب علي فيه إني لا رجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر فقال عليه السلام أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك وقال أصحاباه مثل قوله فقال لهما عليه السلام كما قال لكعب ونهي المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس وأمرهم أن يمتزلوا نساءهم واستأذنت زوج هلال بن أمية في خدمة زوجها لأنه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن لها ولم يزوالا كذلك حتي ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه السلام من يبشرهم بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجا فأفواجا يهنئونهم بتوبة الله فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسرورا فقال أبشريا كعب بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك فقال من عندك يا رسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله فقال كعب يا رسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة لله

ولرسوله فقال عليه السلام امسك عليك بمض مالك فهو خير لك ثم قرأ عليه السلام الآيات التي فيها توبته هو وصاحبه في سورة براءة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)

(وفود ثقيف)

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف رسول الله من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أخرجه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه ويدعوهم الى الاسلام فقال له انهم قاتلوك فقال يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبنائهم فخرج إلى قومه يرجو منهم طاعته لم تبتهم فيه لانه كان فيهم محبياً مطاعاً فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلاً منهم يكلمه وطلبوا من عبد ياليل ابن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجلاً فبعثوا معه خمسة من أشرفهم فخرجوا متوجهين الى المدينة ولما قابلوا رسول الله ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يندون الى رسول الله كل يوم ويخلفون في رحالهم أصغرهم سنان عثمان بن أبي العاص فكان اذا رجعوا ذهب للنبي واستقرأه القرآن واذا رآه نائماً استقرأ أبابكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو يكتم ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم وطلبوا أن يمين لهم من يؤمهم فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رآه من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن

(كتاب أهل الطائف)

ثم كتب لهم كتاباً من جملة (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين أن أعضاءه وجو صيده حرام لا يعصده شجرة ومن وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتزعم ثيابه) ثم سألو رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم شهراً حتى يدخل الإسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه فرضي بذلك عليه السلام ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بثقيف اكنتموا عنهم إسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن عمداً طلب أمورا عظيمة أييناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وإن ترك الزنا وشرب الخمر والربا فلاحلوا بلادهم جاءتهم ثقيف فقال الوفد جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان الناس له فعرض علينا أمورا شديدة وذكروا ما تقدم فقالوا والله لا نطيعه أبداً فقالوا لهم أصلحوا سلاحكم ورموا حصونكم واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثة ثم القي الله الرعب في قلوبهم فقالوا والله ما لنا بحربه من طاقة أرجعوا إليه وأعطوه ما سأل فقال الوفد قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لم كنتم علينا ذلك قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فأسلموا

﴿ هدم اللات ﴾

ولما بلغ رسول الله اسلام ثقيف أرسل أبانفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي لهدم اللات صنم ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالارض

(حج أبي بكر)

وفي آخر يات ذى القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر ليحج بالناس فخرج
 في ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه الهدى عشرون بدنة أهداها رسول الله وساق
 أبو بكر خمس بدنات ولما سافر نزل علي رسول الله أوائل سورة براءة فأرسل بها
 علياً ليلبغها الناس في يوم الحج الأكبر وقال لا يبلغ عني إلا رجل مني فلمحق أبا بكر
 في الطريق فقال الصديق هل استعملك رسول الله على الحج قال لا ولكن بعثني
 أقرأ أو أتلو براءة على الناس فلما اجتمعوا بمنى يوم النحر قرأ عليهم على ثلاث
 عشرة آية من أول سورة براءة تتضمن نبذ اليهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا
 عهودهم وأماهم أربعة أشهر يسيحون فيها في الأرض كيف شاؤوا وأمام
 عهد المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم إلى مدتهم ثم نادي
 لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكان على يصلي في هذا السفر
 وراء أبي بكر رضي الله عنهما

(وفاة ابن أبي)

وفي ذى القعدة مات عبد الله بن أبي وقد صلى عليه رسول الله صلاة
 لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على قبره وإنما فعل ذلك تطييباً لقلب
 ولده عبد الله بن عبد الله وتأليفاً لقلوب الخزرج لمكانة عبد الله بن أبي فيهم
 وقد نزع ربة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال
 السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهى الله رسوله بعد ذلك عن الصلاة
 على المنافقين فقال جل شأنه في سورة براءة (ولا تصل على أحد منهم مات
 أبداً ولا تقم على قبره)

(٢١٨)

﴿ وفاة أم كلثوم ﴾

وفي هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضي الله عنهما

(السنة العاشرة)

(سرية)

في ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد في جمع لبني عبد المدان بنجران من أرض اليمن وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبوا قاتلهم فلما قدم اليهم بعث الركباني كل وجه يدعوهم إلى الإسلام ويقولون أسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا في دين الله أفواجا فأقام خالد بينهم يعلمهم الإسلام والقرآن وكتب إلى رسول الله بذلك فأرسل إليه أن يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم لم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبداً أحداً بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين

(سرية)

وفي رمضان أرسل عليه السلام علياً في جمع إلى بني مذحج (قبيلة يمانية) وعمه بيده وقال سرحتي تنزل بساحتهم فادعهم إلى قول لا إله إلا الله فإن قالوا نعم فرمهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلمت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقتلوك فلما انتهى اليهم لقي جموعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل فصف على أصحابه وأمرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا عدوهم فكف عن طلبهم قليلاً ثم لحقهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وبايعه رؤسائهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ففعل ثم رجع إلى رسول الله فوافاه بمكة في حجة الوداع

﴿بعث العمال على اليمن﴾

ثم بعث عليه السلام إلى اليمن عمالاً من قبله فبعث معاذ بن جبل على الكورة
 العليا من جهة عدن (١) وبعث أبا موسى الأشعري على الكورة السفلى ووصاها
 صلى الله عليه وسلم بقوله (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) وقال لمعاذ
 (انك ستأتي قوماً أهل كتاب فاذا جثتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن
 لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله
 قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم
 أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم
 أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها
 وبين الله حجاب) وقد مكث معاذ باليمن حتى توفي رسول الله أما أبو موسى
 فقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

« حجة الوداع »

وفي السنة العاشرة حج صلى الله عليه وسلم بالناس حجة ودع فيها
 المسلمين ولم يحج غيرها وخرج لها يوم السبت خمس بقين من ذي الحجة
 وولى على المدينة أبا دجانة الأنصاري وكان مع الرسول جمع عظيم يبلغ
 تسعين ألفاً وأحرم للحج حيث انبعثت به راحته ثم لبى فقال لبيك اللهم
 لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولم
 يزل صلى الله عليه وسلم سائراً حتى دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهى ثنية
 كداء ولما رأى البيت قال اللهم زده تشریفاً وتعظيماً ومهابة وبراً ثم طاف

باليث سبعا واستلم الحجر الاسود وصلى ركعتين عند مقام ابراهيم ثم شرب من ماء زمزم ثم سعي بين الصفا والمروة سبعا راكباً على راحلته وكان اذا صعد الصفا يقول لا إله الا الله الله اكبر لا إله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وفي الثامن من ذى الحجة توجه الى منى فبات بها

(خطبة الوداع)

وفي التاسع منه توجه الى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التي بين فيها الدين كله أسسه وفرعه وهاك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أيين لكم فاني لأخبري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفى هذا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا أبدأ به رباعى العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث وان ما أثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية أيها الناس ان الشيطان قد يشس أن يبدف في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون ومن

أعمالكم أيها الناس ان النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله أذن لكم ان تعضلوهن (٢) وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكمن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عنكم عوان لا يملكن ان يقسبن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئء مال أخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب

(١) كانت العرب تحرم اربعة أشهر ثلاثة متواليات وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا ربما استطالوا هذه الاشهر المتوالية لحاجتهم الى الحرب والقتال فأحلوا المحرم وحرمو اصفران العام المقبل فمذاهو الذي عابه القرآن عليهم لا تباعهم الهوي في عقيدتهم

(٢) المضل هو الحبس والتضييق

أكرمكم عند الله أتقاكم ليس امرئى فضل على عجمي إلا بالتقوى ألاهل بلغت
 اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث
 نصيبه من الميراث ولا تجوز لو ارث وصيته ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث
 والولد للفراش وللماهر الحجر من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه
 فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل
 والسلام عليكم ورحمة الله) وفي هذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله في
 سورة المائدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت
 لكم الاسلام ديناً) فلا غرابة ان اتخذ المسلمون عيداً ويوماً سعيداً يظهر
 فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى (ثم) انه عليه السلام أدى مناسك
 الحج من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف وبعد ان أقام بمكة عشرة أيام
 قفل الى المدينة ولما رآها كبر ثلاثاً وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له
 له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون ثابتون عابدون ساجدون
 لرَبنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده)

﴿ الوفود ﴾

في هذه السنة والتي قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه
 على الاسلام وكانوا يقدمون أفواجا ولما في اخبار هذه الوفود من التعاليم
 الحميدة التي يحتاج ذوالادب أن يعرفها رأينا أن نذكر لك منها ما يزيدك
 يقيناً وينير بصيرتك فنقول

﴿ وفود نجران ﴾

ومن الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً دخلوا المسجد

وعليهم ثياب الخبرة وأردية الحرير مختمين بالذهب ومعهم بسط فيها تماثيل
ومسوح جاؤا بها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل البسط وقبل المسوح
ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما أتموا
صلاتهم دعاهم عليه السلام للاسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال
عليه السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير
وزعمكم أن الله ولد اقالوا فمن مثل عيسى خلق من غير أب فأنزل الله في ذلك
في سورة آل عمران (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم
قال له كن فيكون) ول يظهر الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل (فمن
حاجبك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا
ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجمل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم
صلى الله عليه وسلم لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي ألف حلة في صفر
وألف حلة في رجب مع كل حلة أوقية من ذهب ثم قالوا أرسل معنا أمينا فإرسل
لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمى أمين هذه الامة

(وفود ضمام بن ثعلبة)

ومن الوفود ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله بين أصحابه متكئا جاء رجل
من أهل البادية نائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول فأناخ جملة
في المسجد ثم قال أيكم ابن عبد المطلب فدلوه عليه فدنا منه وقال اني سألتك
فمشد عليك المسألة فلا تجد (١) على في نفسك فقال سل ما بدالك فقال أنشدك بالله
الله أرسلتك الى الناس كلهم فقال نعم فقال أنشدك بالله آله أمرك ان نصلي خمس

صلوات في اليوم والليلة قال اللهم نعم فقال أنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ من
أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال أنشدك بالله الله أمرك أن نصوم
هذا الشهر من اثني عشر شهرا قال اللهم نعم قال أنشدك بالله الله أمرك أن
يحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلا قال اللهم نعم قال فاني قد آمننت وصدقت
وأنا ضمام بن ثعلبة ولما ولي قال عليه السلام فقه الرجل ثم ذهب ضمام الى قومه
ودعاهم الاسلام وترك عبادة الاوثان فأسلموا كلهم
وفود عبد القيس

ومن الوفود عبد القيس وكان من خبرهم أن الرسول كان جالسا بين
اصحابه يوما فقال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق لم يكرهوا علي
الاسلام قد انضوا الركائب وأفئوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فلما أتوا وراؤا
النبي صلى الله عليه وسلم رموا بانفسهم عن الركائب بباب المسجد وتبادروا الى
رسول الله يسلمون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وكان أصغرهم سنا
فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما
ثم جاء يمشي هو نا حتى سلم على رسول الله وكان رجلا دميما فظن لنظر الرسول
الي دمايته فقال يا رسول الله انه لا يستقي في مسوك جلود الرجال وانما الرجل
باصغريه قلبه ولسانه فقال صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله
الحلم والاناة وقد قال صلى الله عليه وسلم لهذا الوفد مرحبا بالقوم غير خزايا ولا
ندامي فقالوا يا رسول الله انا نأتك من شقة بعيدة (١) وانه يحول بيننا وبينك هذا
الحى من كفار مضربوا نالنا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل فقال
(١) لان ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسي وهي ديار ربيعة وبينهم وبين الحجاز ارض نجد

أمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وإن تعطوا من المنعم الخمس وأنها لكم عن الدباء (١) والخنم (٢) والنكير (٣) والمزفت (٤) والمراد بذلك ما ينبغي في هذه الأواني فقال الأشجج يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة وخمة وأنا إذا لم نشرب هذه الأشرطة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه وأشار إلى يده فأومأ عليه السلام بكفيه وقال يا أشجج إن رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها حتى إذا عمل أحدكم من شربه قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وأما خص عليه السلام نهيهم بما ذكر لكثرة الأشرطة بينهم

(وفود بني حنيفة)

ومن الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلة الكذاب وكان مسيلة يقول إن جعل لي الأمر من بعده اتبعته فأقبل عليه السلام ومعه قيس بن شماس وفي يده رسول الله قطعة من جريد حتى وقف على مسيلة في أصحابه فقال إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها وأنا لاراك الذي منه رأيت وكان عليه السلام قد رأى في منامه أن في يده سوارين من ذهب فاهمه شأنهما فاوحي الله إليه أن انفخهما فنفخهما فطارا فاولهما صلى الله عليه وسلم كذا بين يخرجان من بعده فكان مسيلة أحدهما والثاني الأسود العنسي صاحب صنعاء وقد أسلم بنو حنيفة

(وفود طي)

ومن الوفود وفود طي وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال صلى الله عليه وسلم

(١) القرع (٢) هو جرار مدهونة بدهان أخضر (٣) هو أصل النخلة ينقر

(٤) ما طلى بالزفت

في حقه ما ذكر لي رجل من العرب ألا رأيت دوت ماقيل فيه الازيد الخيل
وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير

﴿ وفود كندة ﴾

ومنهم وفد كندة وفيهم الاشعث بن قيس وكان وجههما مطاعا في قومه
ولما دخلوا على رسول الله خبؤا له شيئا وقالوا أخبرنا عما خبا نأملك فقال
سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والتكهن في النار ثم قال ان
الله يعثي بالحق وأنزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
فقالوا أسمعنا منه فقتل عليه السلام (والصفات صفافا لاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا ان الهك لو احد رب السموات والارض وما بينهما ما ورب المشارق)
ثم سكت وسكن ودموعه تجري على لحيته فقالوا انا نراك تبكي أفمن مخافة من
أرسلك تبكي قال ان خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل جيد
السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم
لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا) ثم قال لهم
عليه السلام ألم تسلموا قالوا بلى قال ما بال هذا الحرير في أعناقكم فعند ذلك شقوه
والقوه

وفود أزد شنوءة

ومنهم وفد أزد شنوءة ورئيسهم صرد بن عبد الله الأزدى فأسلموا وأمره
عليهم وأمرهم ان يجاهد عن اسلم من كان يليه من أهل الشرك
وفود رسول ملوك حمير

ومنهم وفد رسول ملوك حمير وهم الحارث بن عبد كلال والنعمان

ومعافروهمدان وكانوا قد أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك فكتب اليهم النبي
صلى الله عليه وسلم

(كتاب ملوك حمير)

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال والى
النعمان قيل ذى رعين ومعافروهمدان أما بعد فانى أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو
أما بعد فانه قد وقع بنار رسولكم مقلتنا من أرض الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ
ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتدكم المشركين وان الله
قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقيمتم الصلاة وآتيتم
الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على
المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرة بن ذى
يزن اذا أتاكم رسلى فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك
ابن عباد وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من
الصدقة والجزية من مخالفكم وأبلغوها رسلى وان أميرهم معاذ بن جبل
فلا ينقلبن الاراضيا أما بعد فان محمدا يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله
ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثنى أنك قد اسلمت من أول حمير وقتلت
المشركين فابشر بخير وأمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تتخاذلوا فان رسول
الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي
زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكم كاد بلغ الخبر وحفظ
الغيب وأمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

ومنها وفد همدان وفيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الجبرات اليمنية والعالم المدنية وقد أنشد مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم

خلفت رب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قرد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد
وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وقد قال الرسول في حق
همدان نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم ابدال
وفيهم أوتاد

﴿ وفود نجيب ﴾

ومنها وفد نجيب قبيلة من كندة وقد على رسول الله ثلاثة عشر رجلا منهم معهم
صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم عليه السلام وأكرم مشواهم وقالوا
يا رسول الله اناسقنا اليك حق الله في أموالنا فقال عليه السلام ردوها فاقسموها
على فقرائكم فقالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر
يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدى
يبد الله فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان وجمعوا يسألونه عن القرآن فازداد
صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم ثم أرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يبعثكم قالوا
نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ولقاءنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى
رسول الله فودعوه فاجازهم بأفضل ما كان يحيز به الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم

احد قالوا غلام خلفناه في رحالنا وهو أحد ثنائنا قال فأرسلوه اليه فأرسلوه فاقبل الغلام وقال يا رسول الله ان امن الرهط الذين أتوك آتفا فقضيت حاجتهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن يغفر لي ويرحمي ويجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه

(وفود ثعلبة)

(ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم مقرين بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يا رسول الله انارسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا انك تقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال عليه السلام (حينما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم كيف بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في ضيافته أياما وحين ارادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من فضة

(وفود بني سعد بن هذيم)

(ومنها) وفد بني سعد بن هذيم من قضاة قال النعمان منهم قدمت على رسول الله وأدأ في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد وأزاح العرب والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتي انتهينا الى بابه فوجدنا رسول الله يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ونبايعه ثم انصرف رسول الله فنظر اليه فادعانا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد ابن هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلاصليتم على أخيك قلنا يا رسول الله

ظننا أن ذلك لا يجوز حتى نبأيتك فقال عليه السلام أينما أسلمتم قاتم مسنون قال
فأسلمنا وبأيتنا رسول الله بأيتنا ثم انصرفنا إلى رحلتنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا
فبعث عليه السلام في طلبنا فأتى بنا إليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على
الاسلام فقلنا يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادنا فقال سيد القوم خادمهم بارك
الله عليه قال نعمان فكان خيرنا وأقرأنا القرآن لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ثم
أجازهم وانصرفوا

(وفود بني فزارة)

ومنها وفد بني فزارة وفد على رسول الله جماعة منهم مقرين بالاسلام وهم
مسننون فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال رجل منهم يا رسول الله أسنتت بلادنا
وهلكت مواشينا وأجذب جنابنا وجاعت عيالنا فادع لنار بك يغثننا واشفع لنا
إلى ربك وليشفع لنا ربك إليك فقال عليه السلام سبحان الله ويلك هذا أنا شفيع
إلى ربى فمن ذا الذى يشفع بنا إليه لا اله الا هو العلى العظيم وسع كرسيه السموات
والارض فهى تثط (١) من عظمتهم وجلاله كما يثبط الرجل الحديث أى من ثقل
الحمل ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى أغاث بلاد هذا الوفد
بالمطر الغزير والرحمة التامة

(وفود بني أسد)

ومنها وفد بني أسد وفيهم قسرا بن الأزور وطليحة بن عبيد الله الذى
ادعى النبوة بشدة ذلك فأسلموا وقالوا يا رسول الله أتيتك تنذر ع الليل البهيم فى
سنة شعبان ولم تبث إلينا فانزل الله فى ذلك (يمتن عليك أن أسلموا قل لا تمنوا

(٢٣١)

على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هذا لم تلتبسوا به (سورة التوبة ١٢٥) وسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون في الجاهلية من الميافة (١) والكهانة (٢) وضرب الحصباء فنهاهم عن ذلك كله ثم سأئوه عن ضرب الرمسل فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه فذاك والا فلا ثم أقاموا أياماً يتعلمون الفرائض وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن أجزوا

(وفود بني عذرة)

(ومنها) وفد بني عذرة ووفد بني بلي ووفد بني مرة ووفد خولان وهى قبائل باليمن وقد أمرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحد فان الظلم ظلمات يوم القيامة

(وفود بني محارب)

(ومنها) وفد بني محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول الله بمكاه يدعو القبائل الى الله فاعظم منه الله الذي أتى بهؤلاء وكانوا ألد الأعداء مسلمين متفادين

(وفود غسان)

ومنها وفد غسان ووفد غلامان ووفد بني عيس ووفد النخع وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بما جيلة الله عليه من البشاشة وكرم الأخلاق ويميزهم بما يرضيهم ويعلمهم الإيمان والشرائع ليعلوا من وراءهم وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لاظهار الدين بين الأعراب في البوادي

(١) هي زجر الطير والتخرص على النيب

(٢) هي الأخبار عن الكائنات في المستقبل

(٢٣٢)

(وفاة ابراهيم بن النبي عليه السلام)

وفي هذه السنة توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم
(السنة الحادية عشر)

(سرية)

لاربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة أسامة بن زيد الى أبي (١)
حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له (سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم
الخييل فقتل وليتلك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل أبي وحرقت عليهم وأمرع
السير لتسبق الاخبار فإن أظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ الادلاء وقدم العيون
والعلائع معك) وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والانصار منهم
أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لأسامة اللواء وقال له اغز
باسم الله في سبيل الله وقاتل من كفر بالله وقد انتقد جماعة على تأمير أسامة وهو
شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين فأبلغ الرسول
هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقال أما بعد أيها الناس فإمقالة يلفتني
عن بعضكم في تأمير أسامة ولئن طعنتم في تأمير أسامة لقد طعنتم في تأمير أبيه
من قبله وإيم الله ان كان خليقاً بالامارة وان ابنه من بعده خليق بها وان كان لمن
أحب الناس الى وأنها لمظنة لكل خير فاستوصوا به خير آفانه من خياركم
ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لان المرض بدأه
فاختاره الله للرفيق الاعلى وسيرى القاري ان شاء الله خروج هذا الجيش متمماً
في كتابنا اتام الوفاء بسيرة الخلفاء

(مرض الرسول صلى الله عليه وسلم)

لما تم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما أوتمن عليه وهدى الله به أمته
اختاره الله الرفيق الأعلى فجلس على المنبر مرة وكان فيما قال (إن عبداً خيره الله بين
أن يؤتیه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده) فبكى أبو بكر وقال يا رسول
الله فدينك بآبائنا وأمهاتنا فقال عليه السلام (إن أمن الناس على في صحبته وماله
أبو بكر فلو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام
لا يبقى في المسجد خوذة الاسدت الا خوذة أني بكر) وقد بدأ عليه السلام
مرضه في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت ميمونة واستمر
مريضاً ثلاثة عشر يوماً كان في خلالها ينتقل الى بيوت أزواجه ولما اشتد عليه
المرض استأذن منهن أن يمرض في بيت عائشة الصديقة فأذن له ولما دخل بيتها
واشتد عليه وجمعه قال هريقوا على من سبع قرب لم تحمل أو كيتن لعلي أحمد الى
الناس فأجلس في مخضب وصب عليه الماء حتى أشار بيده أن قد فعلتن وكان هذا
الماء لتخفيف حرارة الحمي التي كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه

(صلاة أني بكر بالناس)

ولما تذر عليه الخرج الى الصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فرضيه
عليه السلام خليفة له في حياته ولما رأت الانصار اشتداد وجع الرسول أطافوا
بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم واشفاهم فخرج صلى الله عليه وسلم متوكفاً
على علي والفضل وتهدم العباس أمامهم والنبي مصوب الرأس يخط برجليه حتى
جلس في أسفل مرقاة المنبر ونار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس
بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلدني قبلي فيمن بعث الله فاخلد فيكم ألا

أني لآحق بربي وانكم لآحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصي
 المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول (والعصر إن الانسان لثقى خسر إلا الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وإن الامور تجري
 بأذن الله ولا يخفونكم استبظاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بمجلة
 أخذ ومن غلب الله غلبوا ومن خادع الله خدعه (فقل عسى أن توليتم أن تفسدوا
 في الارض وتقطعوا أرحامكم) وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوءوا الدار
 والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم من الثمار ألم يوسعوا لكم في
 الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين
 فليقبل من أحسنهم وليتجاوز عن سيئتهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط لكم
 وأنتم لآحقون بي ألا فان مؤدكم الخوض ألا فمن أحب أن يردده على غدا
 فليكشف يده ولسانه ألا فيما يبتغي وبيننا المسلون في صلاة الفجر من يؤم الاثنين
 ثالث عشر ربيع الاول وأبو بكر يصلي بهم إذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 كشف سجد حجرة عائشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم بضحك
 فنكص أبو بكر رضي الله عنه علي عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله يريد أن
 يخرج الى الصلاة وهم المسلون أن يقتلوا في صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار
 اليهم بيده أن أموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر

﴿ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ولم تأت طعنة هذا اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم دنياه وخلق
 بمولاه وكان ذلك في يوم الاثنين ١٢ ربيع أول سنة ١١ (٨ يونيو سنة ٦٣٢) فيكون
 عمرة عليه السلام ٦٣ سنة عمرة كاملة وثلاثة أيام واحدتي وستين شتية وأربعة

وثمانين يوماً وكان أبو بكر غائباً بالسنح وهي منازل بني الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خارجة بن زيد فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال إنما أرسل اليه كما أرسل إلى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فلما أقبل أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله فغشا قبله ويكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا بأني أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتين ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) وتلا قوله تعالى (إنك ميت وأنهم ميتون) وقوله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) قال عمر فكأنني لم أتل هذه الآية قط ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الأربعاء حتى انتهى المسلمون من إنامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان الذي يغسله علي بن أبي طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقثم وأسامة ابن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره في بيته ودخل الناس عليه أرسالا مستبعين يصلون عليه ولم يؤمهم أحد ثم حفر له لحد في حجرة عائشة حيث توفي وأترله القبر علي والعباس وولداه الفضل وقثم ورش قبره بلال بالماء ورفق قبره عن الأرض قدر شبر

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك المسلمين ما إن اتبعوه لم ينصروهم

شيء كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وترك أصحابه البررة الكرام يوضحون الدين ويتمون فتح البلاد ويظهرون في الدنيا شمس الدين الاسلامي القويم حتى يتمم الله كلمته ويمحق وعده وقد فعل فنسأل الله أن يقدرنا على أداء شكره على هذه المنة العظمى والنعمة الكبرى

(شما لله عليه السلام)

منح الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم من كالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ولا بد أن تأتي لك في هذا الباب (١) بنبرة يسيرة من محاسن صفاته وأحاسن آدابه لتكون لك نموذجا تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك صلى الله عليه وسلم فستحق الحمد في الدنيا والآخر في الاخرى. فاعلم أرشدني الله وإياك وهدانا للصراط السوي أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى فأما الضروري فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والاعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الارض ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والسكن والمال والجاه (أما المكتسبة الاخرية) فسائر الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع (١) جل ما ذكر في الشما لله والمعجزات مختصر من كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله

والمفوة والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وأخواتها وهي التي يجمعها حسن الخلق فإذا نظرت رعاك الله الى خصال الكمال التي هي خير مكتسبة وفي جيلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها (فأمّا) الصورة وجهالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون (١) أدجج (٢) أنجل (٣) أشكل (٤) أهدب الاشفار (٥) أبلج (٦) أزج ٧ أفنى ٨ أفلاج ٩ مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين ١٠ ضخم العظام عبل ١١ المضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والتقدمين سائل الاطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ١٢ ربعة القد ليس بالطويل البائن ١٣ ولا القصير المتردد ١٤ ومع ذلك فلم يكن يماشيهِ أحد ينسب الى الطول الاطالة صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكاً فتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم ريء كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقاً ليس بمطهم ١٥ ولا مكثم ١٦ متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة

- (١) نير اللون او جسته (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها (٣) واسع العين مع حسن (٤) في بياض عينيه حمرة (٥) كثير شعر حروف الاجفان (٦) مضى الوجه مشرقه (٧) دقيق الحاجبين في طول (٨) مرتفع قصبة الانف مع أحديداب يسير فيها (٩) مفرج بين الثنايا والارباعيات (١٠) المنكب يجمع رأس المضد والكتف (١١) ضخم (١٢) المسربة شعر دقيق من الصدر الى البطن (١٣) مفرط الطول (١٤) المتناهي في القصر (١٥) المطهم البائن الكثير اللحم (١٦) المكثم صغير الذقن

ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك
يتلألأ في الجدر وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القبر ليلة
اليدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم

(وأما) نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الإقذار وعورات
الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تمها
بنظافة الشرع قال عليه السلام بنى الدين على النظافة وقال أنس ما شمت
عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر أنه عليه
السلام مسح خده قال فوجدت لیسده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة
عطار قال غيره مسحها بطيب أو لم يمسحها يصفح المصافح فيظل يومه يجد ريحها
يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وروى البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه

(وأما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم
ومن تأمل تديره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجيب
شمائله وبديع سيره فضلاً عما أفاد من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق
ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمتز في رجحان عقله وثقوب فهمه
لاول بديهة وكان عليه السلام إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من
أمامه وبذلك فسر قوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) وقالت عائشة كان

عليه السلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وكان يعد في الثريا أحد عشر
 نجما وجاءت الاخبار انه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام
 وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 مشيه كأنما الأرض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
 عليه السلام أن ضحكك كان تسمعا اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقيلا
 كأنما ينحط من صلب وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله
 عليه وسلم من ذلك بالجل الا فضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع
 وبراعة منزع وإيجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة
 تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان
 يخاطب كل أمة منها بلسانها ويجاورها ببلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى
 كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله
 من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قریش ككلامه
 مع أقبال حضرموت وملوك اليمن وعظماة نجد بل يستعمل لكل قبيلة ما
 استحسنته من الالفاظ وما انتهجت من طرق البلاغة ليبين للناس ما نزل
 اليهم وليحدث الناس بما يعلون

(وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه فقد ألف الناس
 فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها مالا يوازي فصاحة
 وبلاغة كقوله المسدون تسكافاً دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من
 سواهم وقوله الناس كاستنان المشط والمرمع من أحب ولاخير في صحبة من لا يرى
 لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن

ورحم الله عبداً قال خيراً فغم أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم واسلم
 يؤتلك الله أجرك مرتين وإن أحببكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة
 أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون
 وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يتدخل بما لا يعنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون
 وجهاً عند الله ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق
 الأمهات وواد البنات وقوله اتق الله حينما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
 ومخالق الناس بخلق حسن وخير الأمور أوسطها وقوله أحب حبيبك هو نأما
 عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض
 دعائه اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعبي وتصلح بها
 رغائبي وتركي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألقى وتعصني بها من كل سوء
 اللهم اني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهادة وعيش السعادة والنصر على الأعداء
 إلى غير ذلك مما روت الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته
 ومحاطباته وعهوده بما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقاً
 لا يقدر قدره وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وأنا
 نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى يبدأني من قريش ونشأت
 في بني سعد جمع بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة
 ورواق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر
 (وأما) سر ونسبه وكرم بلده ومنشئه فيما لا يحتاج إلى إقالة دليل عليه ولا بيان
 مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب
 وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده

وقد قدمنا ذلك في أول الكتاب ما فيه الكفاية في هذا المقام
 أما ما تدعوا اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في قلته ومنه ما الفضل
 في كثيرته ومنه ما يختلف الاجوال فيه فالاول كالغذاء والنوم ولم تنزل العرب
 والحكماء قديما تملدج بقلتهما وتدم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب
 دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة
 جالب لادواء الجسد وخسارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
 النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر ووحدة الذهن كما ان النوم
 دليل على النسوة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب الكسل وعادة
 العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وكان عليه السلام
 قد أخذ من الاكل والنوم بالاقل وحض عليه قال عليه السلام (ماملأ ابن آدم
 وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث
 لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولان كثرة النوم من كثرة الاكل
 والشرب وقالت عائشة رضي الله عنها لم يقتل جوف النبي صلى الله عليه وسلم
 شيئا قط وانه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء ان اطعموه اكل وما
 اطعموه قيل وما سقوه شرب وفي صحيح الحديث (اما أنافلا آكل متكئا)
 والالتكاء هو التمكن للاكل والتعمد في الجلوس له كالتربع وشبهه من تمكن
 الجلوس التي يعتمد فيها الجلوس على مائحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي
 الاكل ويستكثر منه والنبي عليه السلام انما كان جلوسه للاكل جلوس
 المستوفز مقيما يقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد وكذلك نومه كان قليلا
 ومع ذلك فقد قال ان عيني تمانان ولا ينام قلبي

وأما ما للفضل في كثرته فكالجاء وهو محمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاءه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام (وجيهاً في
الدنيا والآخرة) وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رزق الحشمة والمكانة في
القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبمداها وهم يكذبونه ويؤذون
أصحابه ويقصدون أذاه في أنفسهم خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا
حاجته كما ذكرنا لك ذلك مراراً وقد كان يهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما
روى عن قيلة أنها لما رآته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة
وفي حديث أبي مسعود أن رجلاً قام بين يديه فأرعد فقال له عليه السلام هوني
عليك فاني لست بملك

وأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة واناقة رتبته بالاصطفاء
والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم
وأما ما تختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لا اعتقادها توصله به إلى
حاجاته. وتمكنه في أغراضه والأفليس فضيلة في نفسه فمتى كان بهذه الصورة
وصاحبه منفقاً في مهماته ومهمات من قصده وأمله يصرفه في مواضعه مشترى
به المآلى والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا
وإذا صرفه في وجوه البر وأتقعه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار
الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكاً له غير موجه
وجوهه حريصاً على جمعه عاد كثره كالمدح وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به
على جدد السلامة بل أوقعه في وهدة رذيلة البخل ومنذمة التذلة فالتمدح بالمال

ليس لذاته بل للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي خزان الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجلب اليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال (ما يسرني أن لي أحداً ذهباً بيت عندي منه دينار الا ديناراً أُرصده لديني) وأتته دنائير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذها نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجدته فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخصوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فانت ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيه واتقاه على مستحقه

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة وهي المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال (وانك لملئ خلق عظيم) قالت عائشة كان خلقه القرآن يرضي برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال أنس كان عليه السلام أحسن الناس خلقاً وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لأخوانه من الأنبياء جيلة خلقوا عليها ثم يتهم كن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف

في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويلفوا بلبصطفاء الله لهم بالنور في تحصيل هذه
الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الاخلاق الحمودة والخصال الحميلة
كثيرة ولكننا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام
بها انشاء الله

فأصل فروعهما وعنصر بنائهما وقطة دائرتها العقل الذي منه ينبعث العلم
والمعرفة ويتفرع عن هذا قلوب الرائي وجودة الفطنة والاصابة وصدق
الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة
والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد بلغ عليه السلام منه ومن العلم الغاية
التي لم يلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع مجاري احواله واطراد سيره ومطالع
جوامع كلامه وحسن شمائله وبلد ائمة سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل
والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالصة واثامها وضرب الامثال
وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والتشيم الجميلة
الى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كدلاً وفيها قدوة واشارته حجة كالطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا مدارس ولا مطلعة كتب من
تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي أمي لا يعرف شيئاً من ذلك حتى شرح
الله صدره وأبان أمره وعلمه وبحسب عقله كانت معارفه عليه السلام الى سائر
مليكه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته
قال تعالى (وعلماك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)

وأما الجلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكرهه فملاذيب
لله به نبيه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقد سأل عليه

السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له (واصبر على ما أصابك إلى ذلك من عزم الأمور) وقال (وليغفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) وقال (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) وقد تضافرت الاخبار على اتصافه عليه السلام بنهاية هذه الاوصاف فها من حلیم الاعرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ونبتنا لا يزيد مع كثرة الايداء إلا صبراً وعلى اسراف الجاهل الاحلما قالت عائشة رضي الله عنها ما خيبر عليه السلام في أمرين قفا الاختار أيسرهما ما لم يكن أحما فان كان أحما كان أبعد الناس منه وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ولما فعل به المشركون ما فعلوا في احدى طلب منه ان يدعو عليهم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وحسبك في هذا الباب ما فعله مع مشركي قريش الذين آذوه واستهزؤا به وأخرجوه من دياره هو واصحابه ثم قاتلوه وحرصوا عليه غيرهم من مشركي العرب حتى تمألاً عليه جمعهم ثم لما فتح الله عليه مكة ما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء) وعن أنس كنت مع النبي عليه السلام وعليه برد غليظ الحاشية فجذب به امرأتي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صدفة عنقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال وبقاء منك يا عيراني ما فعلت بي قال لا قال لا قال لانك لا تكافي بالسبيطة السيئة فضحك عليه السلام ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة

ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظلمها قط ما لم تكن حرمته من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة فضلى الله تعالى عليه وأقر عينه باتباع المسلمين سنته

(وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام لا يوازي في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى وصفه بهذا كل من عرفه قال جابر رضي الله عنه ما سئل عليه السلام عن شيء فقال لا وقال ابن عباس كان عليه السلام أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وقالت خديجة في صفته عليه السلام مخاطبة له انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وحسبك شاهداً في هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد السبي اليها وما فعله يوم تقسيم السبي من إعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الأ عطية وقد استوفينا ذلك في موضعه وحمل اليه عليه السلام تسعون ألفاً فوضعهما على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن اتبع على فاذا جاء فاشيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر عليه نكره ذلك عليه السلام فقال له رجل من الانصار يا رسول الله اتفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم عليه السلام وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت والاخبار بجوده وكرمه عليه السلام كثيرة يكفي منها لتعليك ما ذكرناه

(ومنها) الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان الذي لا يجمل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكفة والابطال عنه غير مرة وهو

ثابت لا يبرح . ومقبل لا يدبر . ولا يتزعزع وما من شجاع الا اُحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواء وحسبك ما فعله في حنين وأحد مما ذكرناه مستوفى وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجده ولا أجود ولا أَرْضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي انا كنا اذا اشتد البأس واهمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وقال أنس كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه السلام راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لا يي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا

(وأما) الحياء والافضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياء وأكرم عن المورات لأعضاء قال أبو سعيد الخدرى كان عليه السلام أشد حياء من المذراء فى خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وقالت رضى الله عنها لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخيلاً بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح (وأما) حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فيما انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضى الله عنه كان عليه السلام أوسع الناس

صدوقاً وأصدق الناس لهجة واليهم عزى نكته وأكرمهم عشيقة وكان عليه السلام
 يؤلفهم ولا ينفهم ويكرم كريمة كل قوم ويؤلفه عليهم ويخفف الناس ويخفف من
 منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشرة ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويوطئ
 كل جلسائه نصيبه لا يحبب جلسة لأن أحداً أكرم عليه منه من جلسائه أو
 قاربه لحاجة صار به حتى يكون هو المنصرف عنه ومن رماله حاجة لم يزد
 إلا بها أو يمسور من القول قد وسع للناس بسطه وخلق فصار لهم أباً وصاحباً
 عنده في الخلق سواء بهذا وصفه ابن أبي عمارة وكان دائم البشر سهل الخلق
 لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
 يتفاخر عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قال تعالى (فما رحمة من الله لنت لهم
 ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نقصوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
 وشاورهم في الأمر) وقال تملك (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه
 عداوة كأنه ولي حميم) وكان عليه السلام يحجب من جاءه فيقبل الهدية ولو
 كانت كراماً ويكافئ عليها وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ولاعب
 صبيانهم ويجلسهم في حجره ويحجب دعوة الحر والعبد والإمامة والمسكين
 ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس ما ألتئم أحد
 أفن النبي يحافه فنهى رأسه حتى يكون له الرجل هو الذي نهى رأسه وما
 أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يسلها الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام
 ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم يقطع ماداً رجليه بين أصحابه حتى يمشوا
 على أحد يكون من يدخل عليه ويحيط به يديه ويؤثره بالبركة التي تحته
 ويهرم عليه في المجلس عليه لأن أي ويكني أصحابه في دعوتهم بالحب والصلوة

تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام وكان
أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يمظ أو يخطب
(وأما) الشفقة والوفاء والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها في قوله
(عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وقال (وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين) روى أن اعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال
أحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه
فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئاً ثم قال
أحسنت اليك فقال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام
انك قلت ما قلت وفي أنفسي أصحابي من ذلك شيء فان أحببت فقل بين
أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان
الغد أو الغشي جاء فقال عليه السلام ان هذا الاعرابي قال ما قال فردناه فزعم
أنه رضي أكتنك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يريدها
إلا نقوراً فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه
لها بين يديها فأخذ لها من تمام الأرض فردها حتى جاءت واستقلخت وشد
عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قل فقتلتموه
صخل الثار وقال عليه السلام لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً فاني أحب
أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر وكان يسم بكاء الصبي فيتجوز في صلاته
وعن ابن مسعود كان عليه السلام يتخولله بالموعظة مخافة السأمة عليها
(وأما) خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فهو

عن عبد الله بن أبي الحنساء قال بايتم النبي عليه السلام يبيع قبل أن ييمت
وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها مكانه فبقيت ثم ذكرت بعد ثلاث
فجئت فإذا هو مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك
وكان إذا أتني بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة
إنها كانت تحب خديجة وكان عليه السلام يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم
علي من هو أفضل منهم ووفد عليه وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه
نكفيك فقال إنهم كانوا الأصحابنا مكرمين وإنى أحب أن أكافئهم وفي حديث
خديجة أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك أتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

(وأما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد
الناس تواضعاً وأقلهم كبراً وحسبك أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً
عبداً فاختر أن يكون نبياً عبداً وخرج عليه السلام مرة على أصحابه متوكئاً
على عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً وقال
إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار
ويردف خلفه ويمود المساكين ويجالس الفقراء ويحجب دعوة العبد ويجلس بين
أصحابه مختلطاً بهم حيث انتهى به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا تطروني
كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وجمع
عليه السلام على رجل رث وتليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم
اجعله حجاباً لا رياء فيه ولا سمعة. هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى
في حبه هذا مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طامطاً

على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته نواضماً لله تعالى. وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وأرجع ثم قال فوثب الي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فغذب يده وقال هذا تفعله إلا عاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأثمله قال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله (وأما) عدله عليه السلام وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان آمن

الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه وكان يسمى قبل نبوته الامين وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه السلام قبل النبوة. وفي الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يوم الرياح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس للحوايج ولكن نبينا عليه السلام جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإن من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفرع الأكبر) وكان عليه السلام لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يصدق أحداً على أحد

(وأما) وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فكان عليه السلام أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه وكان إذا جلس احتج بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يمرض عن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسماً وكان كلامه فصلاً لا فضول ولا تقصير وكان يضحك أصحابه عند التبسم توقيراً

له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤن فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير . وقال ابن أبي هالة كان سكوتة صلى الله عليه وسلم على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكير . وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك واتقاء البراجم والرواجب (مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها)

(وأما) زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه ما فيه الكفاية وحسبك شاهداً على ثقلاه من الدنيا وإعراضه عن زهرتها وقد سبقت اليه بخذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفي عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع عليه السلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله وقالت ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال اني عرضت عليه أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وقالت عائشة ان كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ان هو إلا التمر والماء وعن أنس ما اكل عليه السلام على خوافي ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شعاعاً سميطاً قط وفي حديثين

عائشة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحاً نثنيه نثنتين
 فينام عليه فتثنيه ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتكم لي فذكرنا له ذلك
 فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وقالت عائشة لم يمتلي جوف
 النبي عليه السلام شعباً ولم يبعث شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه
 من الغني وان كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام
 يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
 أبكي رحمة له مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع
 وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك فيقول يا عائشة مالي
 وللدنيا اخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا
 فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي
 أستحي ان ترفعت في معيشتي ان يقصر بي غداً دونهم وما من شيء أحب الي
 من الحقوق باخواني وأخلاقى قالت فما أقام بعد الا أشهراً حتى توفي
 صلوات الله عليه وسلامه

(وأما) خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ولذلك قال
 لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً أرى ما لا ترون وأسمع ما
 لا تسمعون أطت (صوت) السماء وحق لها أن تظط ما فيها موضع أربع
 أصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
 قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلوذتم بالنساء على الفرش وخرجتم الى الصعدات
 تجأرون الى الله تعالى لو ددت أني شجرة تمضد وكان عليه السلام يصلي حتى
 ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر

قال (أفلا اكون عبداً شكوراً) وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأبيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقيمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا مر بآية عذاب الا وقف وتموذن ثم ركم فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وقال بعضهم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كإزيز الرجل وفي وصف ابن أبي هالة كان متواصل الحزان دائماً الفكرة ليست له راحة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال (المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيق والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والمجز فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبي والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة وثمره فؤادى فى ذكره ونعمى لاجل أمتى وشوقى الى ربى) فجزاه الله من نبي عن أمة خيراً ورحم الله عبداً تأمل فى هذه الشئال الكريمة والخصال الجميلة فتمسك بها واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز شفاعته يوم القزع الاكبر ويرضى الله عنه فذسألك اللهم التوفيق لما فيه الخير بمتك وكرمك يا أرحم الراحمين

﴿ معجزاته عليه السلام ﴾

إذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل أثر هذا السيد الكريم وحيد سيرة وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والايان به كعبد الله بن سلام فانه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جثته لا نظر اليه فلما استقنبت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . وروى مسلم أن ضامداً لما وفد عليه قال له صلى الله عليه وسلم (ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله) فقال له ضماد أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يذك بايمك ولما بلغ ملك عمان أن رسول الله عليه السلام يدعو الى الاسلام قال والله لقد دلني على هذا النبي الامي لا يأمر بحجر الا كان أول آخذه ولا ينهى عن شيء الا كان أول تارك له وانه يقلب فلا يبطل ويقلب فلا يضجر أوني بالمهد وينجز الموعد وأشهد انه نبي وقال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مينة لكان منظره ينبيك بالخبر

كيف وقد أظهر الله على يده تصديقاً لدعوته من المعجزات ما لا ينفي به المد فهو أكثر الانبياء آية وأظهرهم برهاناً وسند ذكر لك في هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك ويزداد به يقينك مما رواه الجمل الفقير من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبتته المحدثون في صحاحهم ونبدأ منها بأظهرها شأنها وأوضحها بياناً وهو القرآن الشريف واعجازه (اعلم) أن كتاب الله العزيز

منطوق على وجوه من الاعجاز كثيرة ونحوها لها من جهة ضبط أنواعها في أربعة
(ماؤها) حسن تأليفه والتشامك كلمة وفصاحته ووجود إيجازها وبلاغته الخارقة
عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من زخابة اللسان
علم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعاً
وخلة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويبدلون به إلى كل
سبب فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب ويرحزون به بين اللطيف
والضرب ويتقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضهون دفيأتون ومن
ذلك بالسحر الحلال يطوفون من أوصافهم أجل من سمط الآل فيغدعون
الالباب ويذلون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويحركون الجبال
ويصيرون الناقص كاملاً ويتبركون الذبيح خاملاً منهم المبدؤ ذواللفظ الجليل
والقول القصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضري
ذو البلاغة الباردة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصريف
في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له في البلاغة
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيج الناهج لا يشكون أن
الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيامهم قد جوارقونها واستنبطوا عيونها
ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلموا صرحاً بلوغ أسرارها فقالوا في الخطير
والهين وتفننوا في الفت والسمين وتناولوا في القل والكدر وتساجلوا في
النظم والنثر فزارهم الرسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت

بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتضافر إيجازه وإعجازه
وتطاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان
محاميه وبدائمه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار
لفظه وم أفسح ما كانوا في هذا الباب محالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر
في الشعر والسجع ارتجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها
يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صار خائبها في كل حين ومقرع ألهم بضعا
وعشرين عاما على رؤس الملا أجمعين (أم يقولون اقترأ قل فأتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (وإن كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين
فإن لم يفعلوا ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن أتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (قل فأتوا بعشر سور مثله
منفريات) فلم يزل يقرعهم اشد القرع ويوبخهم اشد التوبيخ ويسفه احلامهم
ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويدم آلهتهم وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم
واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضة محجمون عن مماثلته يخادعون
أنفسهم بالتشفيب والتكذيب والاعتزاز بالاقترأ وقولهم (إن هذا الا سحر
يؤثر وسحر مستمر وافك اقترأ واسباطير الاولين) والمباهة والرضا بالذنية
كقولهم (قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقرو من بيننا
وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والادعاء مع العجز كقولهم
(لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن
تعاطى ذلك من سخافهم كمسيلة كشف عواره لجمعهم وسلمهم الله مآل قومه

من فصيح كلامهم والالم يحف على أهل الميز منهم انه ليس من معظ فصاحتهم
 ولا جنس بلاغتهم بل ولو اعته مدبرين وأتوا اليه مدعين وانت اذا تأملت
 قوله تعالى (ولكم في القصص حياة) وقوله (ولو ترى اذ فرغوا فلا فت وأخذوا
 من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
 كانه ولي حميم) وقوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء
 وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بمد القوم الظالمين) وقوله (فكلا الخدنا
 بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به
 الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون)
 واشباهها من الآتي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من اعجاز ألفاظها وكثرة معانيها
 ودياجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها
 جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوم مازوا اخر ملئت الدولوين من بعض ما استفيد منها
 وكثرت المقالات في المستبطلات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار
 القرون السوالف التي يضمف في عادة العصفاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان
 آية لتأمله من ربط الكلام ببعضه ببعض والتثام سرده وتناصف وجوهه كقصة
 يوسف علي طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة
 تردها وتناصف في الحسن وجهه مقابلتها ولا تقور للتقوس من ترديدها ولا
 معاداة لمقادها (الوجه الثاني) من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب
 القريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها وترها الذي جاء
 عليه ووقف عليه مقاطع آية وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله
 ولا بعده نظيره ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم

وتدلت دونه احلامهم ولم يمتدوا الى مثله في جنس كلامهم من ثر أو نظم
أو سجع أو رجز أو شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين والايجاز والبلاغة
يدانها أو الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز لم تقدر العرب
على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مابين نقصاحتها
وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمعنيات
وما لم يكن ولم يقع فوق فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى
(لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (اذا
جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) فكان جميع هذا
كما اخبر فقلت الروم فار من ودخلت الناس في الدين افواجا واتسع ملك
المسلمين حتى كان لهم في وقت من أقصي بلاد الاندلس غربا الى أقاصي الهند
شرق قلاو من بلاد الاناضول شمالا الى أقاصي السودان جنوبا وقوله (انّا نحن نزلنا
الذكر وإنّنا له لحافظون) فكان كذلك الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع
ويولون الدبر) فكان كذلك في بدر والآية نزلت بحكمة وقوله (فأتاهم
بمذبذبهم الله بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قاري هذه السيرة وما فيه
من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقاتلهم وكذبهم في حلفهم كقوله ويقولون
في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك)
وقوله (من الذين هادوا بآياتهم من الكفر عن موضعه ويقولون سمعنا وعطينا

وإسمع غير مسمع وراعنا يا ألسنتهم وطعنا في الدين) الى غير ذلك من الآيات
 اليبينات (الوجه الرابع) بما أنبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع
 الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من اخبار اهل الكتاب
 الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه ويأتي به على
 نصه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقدر علموا انه
 صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدرسية ولا محاسبة لم
 يغيب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وكثيرا ما كان يسأله كثير من اهل الكتاب
 عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكر كرا كقصص الانبياء ويبدء
 الخلق وما في الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء ما لم يقدروا على تكذيبه
 ما ذكر منها ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى
 صحيحا ولا سقيما من صحفه بعد أن قرعهم وونخهم بقوله (قل فأتوا بالتوواة
 فاتلوها ان كنتم صادقين) ومما يدل على ان اهل الكتاب يعلمون صدقه
 ما يحمداهم فيه الله بقوله (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
 من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم عدم اجابتهم بقوله (ولن
 يتمنوه ايدا بما قيدت ايديهم) فمما سمع عن احد منهم انه نفي ذلك ولو بالسائيه
 مع انهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه ومثل ذلك ما فعله اهل نجران حينما
 دعاهم للمباهلة فأبوا وقد قدمنا ذلك في فصل وفودهم ومما يدل على ان هذا
 القرآن ليس من كلام البشر الروعة التي تلحق قلوب بنياميه والهيبة التي
 تعجزهم عند تلاوته لقوة حاله وانفاة خطره حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم
 نفورا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن صعب مستصعب على من ذكره

وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روحه به وهيبته آياه مع تلاوته توليه اقبالا
وتنكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى (تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (لو أنزلنا هذا
القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ومن وجوه اعجاز
القرآن كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال (انا
محن نزلنا الذكروا انا له لحافظون) وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه) وسائر معجزات الانبياء لم يبق الا خبرها والقرآن الى وقتنا هذا حجة
قاهرة ومعارضة ممتعة والاعصار كلها طافحة بأهل البيان وحمله علم اللسان
وألمة البلاغة وفرسان الكلام وجها بذة الراعة والملمح فيهم كثير والمعاند
للشرع عتيدفا منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمين في
مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكاف من ذهنه في ذلك
الابرند شحيح بل المأثور عن كل من زام ذلك القساؤه في المعجز بيديه
والنكوص على عقبيه ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه السلام في القرآن
قال ان الله انزل هذا القرآن آمرا وازجرا وسنة خالية ومشلا مضروبا فيه
نبؤكم وخبر من كان قبلكم وتبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يتخلقه طول
الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به
عدل ومن خاصم به فليج ومن حكم به أقسط ومن عمل به أجرو ومن
تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن
حكم بغيره قصمه الله هو الذكروا الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن أتبعه لا يعوج

فيقوم ولا يذبح فيستحب

(ومن) معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر وقد منحه مستوفى
 (ومن) معجزاته صلى الله عليه وسلم بعم الماء من بين أصابعه وتكثيره
 ببركته وقدره في هذا الجم الفقير من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود
 قال أنس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتفت
 الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع في
 الأناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه
 فتوضأ الناس حتى توضؤا عن آخرهم فبيل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقل
 ابن مسعود يئنا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا
 من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في أناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من
 بين أصابعه وقال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة
 فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع
 يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كماثال العيون قيل كم كنتم
 قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة جمع عظيم
 من الصحابة ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق
 التهمة إلى الحديث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من
 ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهو لا يقدروا هذا وأشاعوه ونسبوا
 حضور الجم الفقير له ولم ينكر عليهم أحد من الناس ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه
 وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم

ومما يشبه هذا تغيير الماء ببركته وإعطائه بركة ودعوتها وردعه

معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تلمع بشيء من ماء مثل الشراك فمرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأطاعه فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس وفي رواية ابن اسحاق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة أن ترى ما هنا قد ملئ جناناً وقد قدمنا ذلك في غزوة تبوك وروى عن البراء وسلمة بن الاكوع تكثير عين الحديدية بدعوته عليه السلام . وروى أبو قتادة أن الناس شكوا الى رسول الله الملعش في بعض أسفاره فدعا بالمبضأة فجعلها في صنبه (ما بين الكشح الى الابط) ثم التقم فيها فالله أعلم أنفت فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل أناء معهم فخليل لي انها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلاً . ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم في محال مختلفة بحيث لا يشك أحد في صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها

(ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم روى طليحة انه عليه السلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت إبطه فأمر بها عليه السلام ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وروى جابر انه عليه السلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتفط كلهم وان عجيننا ليخبز وكان عليه السلام قد بصق في العجين والبرمة وبارك : وروى أبو أيوب أنه صنم لرسول الله وأبي بكر طعاماً يكفيهما فأطعم منه عليه السلام مائة وثمانين رجلاً . وروى مثل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن أبي بكر وسلمة بن

ألا كوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين (ومن) معجزاته عليه السلام قصة خنين الجذع قال جابر بن عبد الله كان للمسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان عليه السلام إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوه به وفي رواية المطلب والنشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه السلام إن هذا يبكي لما فقد من الذكر زاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة محزوناً على رسول الله فأمر به فدفن تحت المنبر وهذا الحديث خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم ومن دون عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب . والله المثبت على الصواب

(ومن) معجزاته عليه السلام إبراء المرضى وذوي العاهات فقد أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجهه ففردها عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدهما وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فلما ضرب عليه ولا قاح وأصاب ابن ملاعب الأسنه استشفاء فبعث إلى النبي عليه السلام فأخذ بيده خشوة من الأرض فقل عليها ثم أعطاها رسول الله فأخذها يرى أنه قد هزى به فأتاه بها وهو على شفا فشر بها فشفاه الله وتقدم حديث علي ورمده في غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلنا عن عدة ورواه هاتين المسلماتين الاعلام

(أما) ما منعه الله إياه من إجابة دعواته فروي عن أنس بن مالك قال

قالت أمي أم سليم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيت به قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الأربع من تركته ثمانون ألفاً وتصديق مرة بغير فيها سبع مائة بغير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وأقتابها وأحلاسها

(ودعا) للمعاوية بالتمكين في الأرض فنال الخلافة ودعا لسعد باجابه الدعوة فما دعا على أحد الا استجيب له وتقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب أن يعز الاسلام به وقال لا بى قتادة أفلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كانه ابن خمس عشرة ودعواته عليه السلام المستجابة أكثر من أن تحصى يطلع عليها قارىء سيرتنا هذه

(أما) ما أطلعه الله عليه من علم ما لم يكن فيما صارت به الركبان فمن حذيفة رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسبه من نسبه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه شيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وما أحدى أنسى أصحابي أم تناسوه والله ما ترك عليه السلام من قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً الا قد سماه لنا اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن

حتى نظن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وأن المدينة ستغزى
 ويفتح خير على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون
 من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصرو وقد قدمنا كثيراً من ذلك في
 هذه السيرة وقدمنا ما في القرآن من ذلك وهذا يغنينا عن الإطالة في هذا
 المقام فحسبك ما سمعت

(ومما) ينير بصيرتك أيها القارئ ما من الله به على رسولنا من عصمته
 له من الناس ركفايته من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من الناس) وقال
 (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (أليس الله بكاف عبده) وقال
 (انا كفيناك المستهزئين) ولما نزل (والله يعصمك من الناس) صرف حجاب
 وقال انصرفوا فقد عصمني الله وقد قدمنا حديث دعثور وإرادته قتل
 النبي صلى الله عليه وسلم وعصمة الله لنبينا وذكرنا كثيراً مما حصل من أبي
 جهل لما أراد بالرسول المكاييد فكفاه الله شره وما من الله به عليه ليلة الهجرة
 وحديث سرافة في الطريق وعلى الجملة فيكفيانا من هذا الباب أنه عليه السلام
 مكث بين أعداء الداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشايبيهم من المنافقين
 واليهود عشرتين فما تمكن أحد من إيصال أذى إليه صلى الله عليه وسلم بل
 كفاه مولاه شر أعدائه حتى أظهر الدين ونعمه والحمد لله حمداً يوافي نعمه
 ويكافي مزبده ونسأله أن يوفق قارئ هذه السيرة الى اتباع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على أصحابه وأنصاره

(قد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين)

(فهرست كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسين)

صحيحة	صحيحة
٢٤ بدء الوحي	٢ خطبة الكتاب
»٦ قرة الوحي	٤ النسب الشريف
»٧ عود الوحي	٧ زواج عبد الله بآمنة وحملها
»٧ الدعوة سرا	٨ الرضاع
٣٣ الجهر بالتبليغ	٩ حادثة شق الصدر
٢٥ الايذاء	٩ وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب
٤١ اسلام حمزة	ووفاته وكفالة أبي طالب
٤٩ هجرة الحبشة الاولى	١٠ السفر الى الشام المرة الاولى
٥٠ اسلام عمر	١٠ حرب الفجار
٥١ رجوع مهاجري الحبشة	١٢ حلف الفضول
٥٣ كتابة الصحيفة	١٣ رحلته الى الشام المرة الثانية
٥٣ هجرة الحبشة الثانية	١٣ زواجه بخديجة
٥٤ نقض الصحيفة	١٤ بناء البيت
٥٥ وفود محران	١٦ معيشته عليه السلام قبل البعثة
٥٥ وفاة خديجة رضي الله عنها	١٧ سيرته في قومه قبل البعثة
٥٦ زواج سودة	١٨ ما اكرمه الله به قبل النبوة
٥٦ زواج عائشة رضي الله عنها	١٩ تبشير التوراة به
٥٧ هجرة الطائف	٢٢ تبشير الانجيل به
٥٩ الاحتماء بالمظلم بن عدى	٢٣ حركة الافكار قبل البعثة

صحيفة	صحيفة
٦٠ وفد دوس	٧٨ حي المدينة
٦٠ الاسراء والمعراج	٧٨ منع المستضعفين من الهجرة
٦٣ العرض على القبائل	٧٨ السنة الاولى ببناء المسجد
٦٤ بدء اسلام الانصار	٧٩ بدء الاذان
٦٥ العقبة الاولى	٨١ يهود المدينة
٦٦ العقبة الثانية	٨٣ المتأفقون
٦٧ هجرة المسلمين الى المدينة	٨٣ معاينة اليهود
٦٨ دار الندوة	٨٣ مشروعية القتال
٦٩ هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم	٨٦ بدء القتال
٧٢ النزول بقباء	٨٦ سرية
٧٢ هجرة الانبياء	٨٧ وفيات
٧٣ أعمال مكة	٨٨ السنة الثانية غزوة ودان
٧٤ مسجد قباء	٨٨ غزوة بواط
٧٤ الوصول الى المدينة	٨٩ غزوة العشيرة
٧٥ أول جمعة	٨٩ غزوة بدر الاولى
٧٥ النزول على أبي أيوب	٨٩ سرية
٧٦ نزول المهاجرين	٩٠ تحويل القبلة
٧٦ اخوة الاسلام	٩٠ صوم رمضان
٧٧ هجرة أهل البيت	٩١ صدقة الفطر

صحيفة	صحيفة
١٢٤ سرية	٩١ زكاة المال
١٢٥ سرية	٩٢ غزوة بدر الكبرى
١٢٦ غزوة بني النضير	١٠٢ أسرى بدر
١٢٨ غزوة ذات الرقاع	١٠٣ الفداء
١٢٨ غزوة بدر الآخرة	١٠٨ العتاب في الفداء
١٢٩ حوادث	١٠٨ غزوة قينقاع
١٢٩ السنة الخامسة غزوة دومة	١٠٩ جلاء قينقاع
الجندل	١٠٩ غزوة السوق
١٣٠ غزوة بني المصطلق	١١٠ صلاة العيد
١٣٣ حديث الافك	١١٠ زواج علي وفاطمة عليهما السلام
١٣٦ غزوة الخندق	١١١ السنة الثالثة
١٣٩ الخدعة في الحرب	١١١ قتل كعب بن الاشرف
١٤١ هزيمة الاحزاب	١١٢ غزوة غطفان
١٤٢ غزوة بني قريظة	١١٣ غزوة بحران
١٤٤ زواج زينب بنت جحش	١١٢ سرية
١٤٧ الحجاب	١١٣ غزوة أحد
١٤٩ فرض الحج	١٢٤ غزوة حمراء الاسد
١٤٩ السنة السادسة - سرية	١٢٢ حوادث
١٥١ غزوة بني الحيان	١٢٤ السنة الرابعة

صحيفة

صحيفة

١٥١ غزوة الغابة

١٦٨ كتاب أمير بصري

١٥٢ سرية

« كتاب الحارث بن أبي شمر

« سرية

١٦٩ كتاب المقوقس

١٥٣ سرية

١٧٠ كتاب النجاشي

« سرية

١٧١ كتاب كسري

« سرية

« كتاب المنذر بن ساوى

١٥٤ سرية

١٧٢ كتاب ملكي عمان

« سرية

١٧٣ كتاب هودة بن علي

١٥٥ سرية

« السنة السابعة غزوة خيبر

١٥٥ قتل أبي رافع

١٧٧ زواج صفية

١٥٧ سرية

١٧٧ النهي عن نكاح المتعة

١٥٧ قصة عقل وعريضة

١٧٧ رجوع مهاجري الحبشة

١٥٨ سرية

١٧٨ فتح فذك

١٥٩ غزوة الحديبية

١٧٨ صلح تباه

١٦١ بيعة الرضوان

١٧٨ فتح وادي القرى

١٦٢ صلح الحديبية

١٧٨ اسلام خالد ورفيقه

١٦٥ مكاتبة الملوك

١٧٩ سرية

١٦٥ كتاب قيصر

»

١٦٦ حديث أبي سفيان

» ١٨٠

صحيفة	صحيفة
٢٠٠ غزوة الطائف	١٨٠ عمرة القضاء
٢٠١ تقسيم السي	١٨١ زواج ميسونة
٢٠٣ وفود هوازن	١٨١ السنة الثامنة
٢٠٥ عمرة الجمرات	١٨٢ سرية
« سرية	» »
٢٠٦ وفود صداء	» »
سرية	١٨٣ غزوة مؤتة
وفود نعيم	١٨٥ سرية
٢٠٧ سرية	» ١٨٦
سرية	١٨٦ غزوة الفتح الاعظم
٢٠٨ السنة التاسعة	١٩٢ العفو عند المقدرة
سرية	١٩٤ وفود كعب بن زهير
٢٠٩ وفود عدي بن حاتم	١٩٥ بيعة النساء
٢١٠ غزوة تبوك	١٩٦ هدم العزى
٢١٢ وفود صاحب أيلة	١٩٦ هدم سواع
٢١٣ كتاب صاحب أيلة	١٩٦ هدم مناة
كتاب أهل أذرح وجرباء	١٩٦ غزوة حنين
مسجد الضرار	٢٠٠ سرية
٢١٤ حديث الثلاثة الذين خلفوا	

صحيفة

صحيفة

٢١٥ وفود ثقيف

٢٢٧ كتاب ملوك حمير

٢١٦ كتاب أهل الطائف

٢٢٨ وفود همدان

٢١٦ هدم اللات

٢٢٨ وفود نجب

٢١٨ حج أبي بكر

٢٢٩ وفود ثعلبة

٢١٧ وفاة ابن أبي

٢٢٩ وفود بني سعد بن هذيم

٢١٨ وفاة أم كلثوم

٢٣٠ وفود بني فزارة

٢١٨ السنة العاشرة

٢٣٠ وفود بني أسد

٢١٨ سرية - سرية

٢٣١ وفود بني عذرة

٢١٩ بعث المال على اليمن

٢٣١ وفود بني محارب

٢١٩ حجة الوداع

٢٣١ وفود غسان

٢٢٠ خطبة الوداع

٢٣٢ وفاة ابراهيم بن النبي صلى الله

٢٢٢ الوفود

عليه وسلم

وفود نجران

٢٣٢ السنة الحادية عشر

٢٢٣ وفود ضمام بن ثعلبة

٢٣٢ سرية

٢٢٤ وفود عبد القيس

٢٣٣ مرض الرسول عليه السلام

٢٢٥ وفود بني حنيفة

٢٣٣ صلاة أبي بكر بالناس

وفود طي

٢٣٤ وفاة رسول الله صلى الله عليه

٢٢٦ وفود كندة

وسلم

وفود اردشنة

٢٣٦ شمائله عليه السلام

٢٢٦ وفود رسول ملوك حمير

٢٥٥ مجزاته عليه السلام (تمت)